أفاويق التورية

حِلية الكلام ،   ومُتعة الأَفهام

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دار الجديد للنشر والتوزيع

414.1
م . ن

متولي ، نعمان عبد السميع.

أفاويق التورية حِلية الكلام ، ومُتعة الأفهام / نعمان عبد السميع متولي.-

ط1.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع.

140 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : 1 - 711 – 308 – 977 – 978

1- البلاغة العربية -المعاني.

أ - العنوان .

رقم الإيداع : 22081

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

هاتف- فاكس : 0020472550341 محمول : 00201277554725-00201285932553

E-mail: elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع

تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر

هاتف : 24308278 (0) 002013

محمول 661623797 (0) 002013 & 772136377 (0) 002013

E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

2020

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة ق من الآية33 :35)

إهداء

إلى والدي الحبيبين داعيا الله

لهما المغفرة والفوزبالجنة .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

مقدمة :

فن التورية من فنون البلاغة المفعمة بثـراء المعنـى وعمـق الإيحـاء ووفرة الدلالة .

يتناول البحث تعريف التورية وأنواعها وعلاقتهـا بـبعض أنـواع البديع التي لها صلة بها كما يتناول البحـث أثـر التوريـة في المعنـى، بعـد عرض نماذج التورية قديما وحديثا.

ويتخذ البحث من المنهج التكاملي أداة لبسط هذه القضية مشفوعا بنماذج مختارة محللة من الشعر العربي مبرزا دور التورية وما لها من عميـق الأثر في المعنى ، ومثبتا نتائج الدراسـة وماتوصـل إليـه الباحـث إضـافة للمراجع والمصادر التي تم الاستعانة بها في تناول موضوع الدراسة .

والله نسأل أن يوفقنا لما فيه الخير، إنه نعم المعين

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

المحلة الكبرى

فبراير 2019م

✍ تمهيد:

البلاغة العربية تعني :حسن البيان وقوّة التّأثير - كما جاء في المعجم الوسيط -، وتعني أيضاً الوصول إلى المعنى بكلام بليغ ويجب فيها مطابقة ومشابهة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

وهي تتكون من ثلاثة علوم : المعاني، والبيان، والبديع تدورجميعها في فلك الأسلوب ونظم الكلام وما يتألف منه وما يضفي عليه من جمال وقوة تأثير ،ويسمه بسمة الحسن والتميز .

والوصول إلى فصاحة الكلام لايكون إلاَّ عن طريق التعلم الواعي والذوق السليم ، لذلك كان درس البلاغة مهمًا وتعلمها ضرورة لكل من المبدع والناقد والمتلقي على حد سواء .

وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري:

"اعلم- علمك الله الخير ودلك عليه وقيضه لك وجعلك من أهله- أن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ- بعد المعرفة بالله جل ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحق ، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة " [1]

1- كتاب الصناعتين ص 1 - 3.

✍ يقوم علم البلاغة على أساسين مهمين هما :

- **الذّوق الفطري الرفيع : وهو المرجع الأوّل في الحكم على الفنون الأدبيّة.**

- **البصيرة الواعية النفّاذة : وهي القدرة على الموازنة والمفاضلة بين الأعمال الأدبية لبناء أحكام يطمئنّ العقل إلى جدارتها وتمييز الخبيث من الطيب ، ورديء الأعمال من جيدها .**

ولتعلم البلاغة ودراستها فوائد جمة منها :

- **فهم معاني القرآن الكريم الذي هو أساس البلاغة والوقوف على مواطن إعجازه والكشف عن مكنون أسراره .**

- **القدرة على النطق الصحيح والصياغة الحسنة ، وتمييز الحسن من الرديء .**

- **تنمّية القدرة على اختيار الألفاظ المناسبة للموقف الذي يتناوله المبدع.**

- **تنمية قدرة الناقد على تمييز الأساليب جيدها من رديئها وتمكينه من انتقاد النصوص الأدبيّة فضلاً عن تمكين القارىء أو السامع من تذوّق بلاغة القرآن الكريم والحديث الشّريف.**

ولأن موضوع الكتاب الرئيس هو تناول التورية فمن اللازم أن نلقي الضوء على علم البديع ومباحثه وعلاقة أنواع البديع بالتورية التي هي موضوع البحث، ولو تحدثنا عن بدايات البديع ونشأته كعلم مستقل، نستطيع القول أن:

" أول محاولة علمية جادة في ميدان علم البديع هي تلك المحاولة التي قام بها خليفة عباسي ولي الخلافة يوما وليلة ثم مات مقتولا وقيل مخنوقا سنة 296 هجرية ، هذا الخليفة هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد والمولود سنة 247 هجرية. لقد كان شاعرا مطبوعا مقتدرًا على الشعر، سهل اللفظ، جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني، مغرماً بالبديع في شعره، وبالإضافة إلى ذلك كان أديبا بليغا مخالطا للعلماء والأدباء معدودًا من جملتهم، وله بضعة عشر مؤلفا من فنون شتى وصل إلينا منها ديوانه ، وطبقات الشعراء وكتاب البديع " [1].

وعلم البديع من العلوم المهمة في لغتنا العربية والتي لايستغني عنها الكتاب والشعراء ، وعبد الله بن المعتز هو واضع علم البديع كما المسمى (البديع) يفهم ذلك من كتابه الذي ألفه سنة 274 للهجرة.

1- علم البديع دكتور عبد العزيز عتيق.

ويبدو أنه ألف هذا الكتاب ردًا على من زعم من معاصريه أن بشار بن برد ومسلم بن الوليد الأنصاري وأبا نواس هم السابقون إلى استعمال البديع في شعرهم وعن ذلك يقول في مقدمة كتابه:

"قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه"(1).

ويعتبر ابن المعتز صاحب المحاولة الأولى في الاستقلال بعلم البديع ، وجعله علما مستقلا بذاته وتحديد موضوعاته التي كانت تذكر قبل ذلك في ثنايا الكتب مختلطة بموضوعات علم المعاني وعلم البيان، ويرجع الفضل لابن المعتز في تعريف القراء أن البديع كان موجودا في أشعار الجاهلية وصدر الإسلام، ولكنه كان متناثرا هنا وهناك يأتي عفوا، حتى جاء الشعراء المحدثون من أمثال

1- البديع لابن المعتز ص1 .

أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام وبشار فضمنوا شعرهم البديع ومنهم من أكثر منه بصورة لافتة للنظر كأبي تمام الذي وسمه النقاد بغرامه بالبديع وقصده إليه قصدا حتى لقد أسماه النقاد شاعر الصنعة اللفظية .

كما يرجع الفضل لابن المعتز أنه وضع مصطلحات لأنواع البديع في عصره، وزاد على ذلك قيامه بنقد ما جاء متكلفا معيبا منه وهذا اتجاه علمي يحسب لابن المعتز، ويضعه في منزلة السبق من أقرانه من علماء عصره .



✍ **التورية لغة : هي الإخفاء والستر .**

إصطلاحاً: هي أن يذكر المتكلم لفظة لها معنيان معنى قريب غير مراد مصاحب بقرينه تدفعك توهما إليه ومعنى آخر بعيد وهو المراد.

وقد عرفها نقاد الأدب وشيوخه تعريفات متعددة، تختلف في لفظها لكنها تتفق في معنى واحد ، هو أن التورية يراد بها الإخفاء والتمويه .

ومن هذه التعريفات :

✍ **تعريف زكي الدين بن أبي الإصبع(654هـ)في كتابه: تحرير التحبير، يقول فيه :**

" التورية وتسمى التوجيه هي أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله"[1].

✍ **أما ضياء الدين بن الأثير فقد حدد التورية بأن: " يذكر معنى من المعاني له مثل شيء آخر ، ونقيض، والنقيض أحسن موقعا ، وألطف مأخذا " ويقصد بالنقيض : المعنى البعيد المورى عنه ،**

1- تحرير التحبير ، زكي الدين بن أبي الإصبع.

وهو مراد المتكلم [1]- ويعرفها السكاكي بأنها الإيهام وهو " أن يكون للفظ استعمالان : قريب وبعيد ، فيذكر الإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد" [2] .

✍ ويعرفها النويري بقوله :

" هي أن يذكر المتكلم ألفاظا لها معان قريبة وبعيدة فإن سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب ومراد المتكلم البعيد " [3]

✍ ويعرفها العلوي بأنها :

" عبارة عن كل مايفهم منه معنى لايدل عليه ظاهر لفظه ويكون مفهوما عند اللفظ به " [4]

✍ ويعرفها صفي الدين الحلي تعريفا أكثر انطباقا على التورية بالمصطلح الذي اتفق عليه البلاغيون، يعرفها بقوله:

" أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين : قريب ، وبعيد فيذكر لفظا يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر بها أن مراده البعيد " [5].

1- المثل السائر لضياء الدين بن الأثير ، 192/2.
2- مفتاح العلوم للسكاكي ، ط1 ، ص537.
3- نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري ، ط1، 109/7.
4- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الإعجاز، للعلوي ، ط1، 428.
5- شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي ، ط1، ص135.

✍ والخطيب القزويني يعرفها بقوله:-

"ومن البديع التورية وتسمى الإيهام أيضا، وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد، وهي ضربان مجردة ومرشحة"[1].

✍ ويعرفها صلاح الدين الصفدي (764ه) في كتابه فض الختام عن التورية والاستخدام بقوله التورية هي أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين، قريب وبعيد، فيذكر لفظا يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر منها أن مراده البعيد "[2].

✍ ويعرفها تقي الدين بن حجة الحموي (837هـ) يعرفها في كتابه " خزانة الأدب " قائلاً:

" التورية أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجازا ؛ أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورِّي عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب ، وليس كذلك ، ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاما"[3].

1- التلخيص : الخطيب القزويني .
2- فض الختام عن التورية والاستخدام : صلاح الدين الصفدي.
3- خزانة الأدب لابن حجة الحموي 239 - 242 .

هذه التعريفات كلها وإن اختلفت لفظا فإنها تتفق في معناها ولا تخرج في مضمونها عن معنى الإخفاء والستر والتمويه على القارىء أو السامع فيظن المعنى القريب للكلمة هو المطلوب لكن المعنى البعيد هو المراد .

قال حافظ إبراهيم مداعبا صديقه أحمد شوقي:

يقولون إن الشوق نار ولوعة فما بال شوقي اليوم أصبح باردا؟

كلمة " شوقي" لها معنيان:

معنى قريب غير مقصود: وهو الحب والحنين والقرينة: كلمة الشوق .

معنى بعيد : وهو الشاعر المصري المعروف أحمد شوقي.

وهو المقصود .

مثال آخر:

قال نصير الدين الحمامي :

جودوا لنسجع بالمديح على علاكم سرمدا

فالطير أحسن ما تغرد عندما يقع الندا

في كلمة " الندى" تورية إذ لها معنيان:

المعنى القريب غير المقصود :

قطرات الماء التي تسقط في الصباح الباكر، والقرينة كلمة (يقع).

المعنى البعيد المقصود: وهو العطاء .

سئل أبو بكر–رضي الله عنه –عن الرسول– صلى الله عليه وسلم –حين كان يرافقه في الهجرة .

فقال : هادٍ يهديني :في كلمة " هاد " تورية إذ لها معنيان :

المعنى القريب: عير مقصود، هو الهادي إلى الطريق في السفر.

والقرينة:(الهجرة)المعنى البعيد: وهو المقصود، الهادي إلى الإسلام.

يقول الشاعر:

يا عاذلي فيه قل لي إذا بدا كيف أسلو؟ يمرُّ بي كل يوم وكلما مرَّ يحلو

التورية في كلمة " مرّ " إذ لها معنيان:

–معنى قريب وهو الشيء مرّ المذاق، ويتبادر هذا المعنى إلى الذهن لوجود قرينة(يحلو) وهو غير مقصود.

–معنى بعيد: مأخوذ من المرور وهو المقصود .

وفي مثال آخر :

يقول الشاعر :

وواد حكى الخنساء لاقى شجونه   ولكن له عينان تبكي على صـــخر

- التورية في كلمة " صخر " إذ لها معنيان.

الذهن قرينة هي:معنى قريب ليس مقصـودا وهـو : صـخر أخـو الخنساء.

ومعنـى بعيـد هـو : الصـخر " الحجـارة " وهـو المقصـود

مثال آخر :

يقول الشاعر :

أبيات شـــعرك كالقصـــور   ولا قصـــور بهـــا يعـــوق

ومن العجائب لفظها حـــر   ومعناهــــــا رقيـــــق

التورية في كلمة "رقيق " إذ لها معنيان .

-معنى قريـب : مـأخوذ مـن العبوديـة ويتبـادر المعنـى إلى الـذهن لوجود قرينة (حر) وهو غير مقصود.

ومعنى بعيد هو: العذب السهل وهو المقصود :

قال أبو الحسن الجزار:

كيف لا أشــكر الجــزارة مـــا   عشـــت وأهجــر الآدابـــا ؟

وبها صارت الكلاب ترجونى   وبالشعر كنت أرجو الكلابا

كان هذا الرجل في البداية شاعرا وأديبا فلـم يـربح مـالا وهجـر أصحاب المصالح الذين لا يعرفونـه إلاَّ وقـت الحاجـة فهجـر الشـعر والأدب وعمـل بـالجزارة فـربح مـالا وفـيرا واغتنـى فـاجتمع حولـه أصحاب الحاجات الذين هجروه وقت أن كان فقيرًا.

فكلمة (الكلاب) لها معنيان: قريب وهو الحيوان المعروف وبعيـد وهو المقصود وهم المنافقون الذين لا يعرفون إلاَّ مصالحهم وقد ذكر مـا يلائم المعنى القريب بطريق غير مبـاشر وهـو (الجـزارة) لأن في الجـزارة العظم وهو زاد الكلب.

مثال آخر ، يقول الشاعر :

حماة بها فخر العروبة والندى   وبها على العاصي تدور الدوائر

التورية هنا في كلمة : العاصي.

وأول ما يتبادر للذهن العاصي من عصى وبغى وهو غير مطلوب .

والمعنى البعيد هو نهر العاصي ، وهو المراد .

وأعتقد أن هناك تورية في كلمة : الدوائر.

المعنى القريب من الدوائر بمعنى : الخطوب وهو غير مطلوب .

والمعنى البعيد هو : السواقي ، وهو المقصود.

والتورية تقتضي من القارىء الإلمام باللغة وتذوقها ، وإلى لطافة في الحس.. والمورى مجدد لأنه يضع أمام السامع صورا متشابكة من المعاني، مما يدفع السامع إلى إعمال ذهنه ،والتنقل بخياله والتجول بفكره بين صورها الشتى حتى يقع خاطره على المعنى المقصود، دون أن يشعر بثقل أو يحس بجهد، ويكون لذلك أثره فيه فيلطف حسه ويرق خياله ويتسع تصوره.

وقد نقل ابن حجة قول الزمخشري في التورية حيث قال:

(ولا نرى بابا في البيان أدق ولا ألطف من هذه الباب)

فهـــي - في جوهرهـــا - أوســـع نطاقـــا وأبعـــد آفاقـــا، وهـــي - عـلى الأقـل - ذات صـلة وثقـى بـأنواع البلاغـة :كالمجـاز والإلغـاز والمحاجاة والتوجيه والتلمـيح والإبهـام والجنـاس، و بينهـا وبـين هـذه الأنواع أمور متشابهة ، وخيوط رفيعة ، وفروق دقيقة .

أنواع التورية

التورية أربعة أنواع:

- ✍ مجردة
- ✍ ومرشحة
- ✍ ومبيّنة
- ✍ ومهيّأة

التورية المجردة:-

هي التي لم يـذكر فيهـا لازم مـن لـوازم المـورّى بـه، وهـو المعنـى القريب، ولا من لوازم المورّى عنه، وهو المعنى البعيد.

كقول الله تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]

التورية في كلمة (استوى)

والاستواء، كما يقول الزمخشري، "على معنيين:

أحدهما الاستقرار في المكان، وهو المعنى القريب المـورّى بـه غـير المقصود، والثاني الاستيلاء والملك.

وهو المعنى البعيد المورّى عنه، وهو المراد، لأن الحق سبحانه منـزّه عـن المعنـى الأول. ولم يـذكر مـن لـوازم هـذا أو ذاك شيء فالتورية مجردة بهذا الاعتبار."

ومـن هـذا النـوع قـول النبـي ﷺ أثنـاء خروجـه إلى بـدر وقد سئل :ممن أنتم؟ فلم يرد أن يعلم السائل، فقال: «من مـاء»، وأراد: أنا مخلوقون من ماء. فورّى عنه بقبيلة من العرب يقال لها: ماء.

1- سورة طه: الآية 5.

ومنه قول القاضي عياض في سنة كان فيها شهر كانون معتدلا فأزهرت فيه الأرض:

كأن نيسان أهدى من ملابسه لشهر كانون أنواعا من الحلل

أو الغزالة* من طول المدى خرفت فما تفرّق بين الجدي والحمل

*الغزالة : من أسماء الشمس

فالتورية هنا مجرّدة، والشاهد في الغزالة والجدي والحمل فإن الشاعر لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيئا من لوازم المورّى به كالأوصاف المختصة بالغزالة من سواد العين ، و طول العنق وسرعة الحركة.

✍ التورية المرشحة

هي التي يذكر فيها لازم المورّى به، وهو المعنى القريب وسميت مرشحة لتقويتها بذكر لازم المورى به.

ثم تارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده، وهي من هذا الوجه نوعان :

- الأول:

هو ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية.

ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ فإن قوله: بِأَيْدٍ وإنا لموسعون"[1]

يحتمل اليد التي هي عضو من أعضاء الإنسان ، وهذا هو المعنى القريب المورّى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح (بنيناها).

ويراد القوة وعظمة الخالق، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه والمقصود في الآية الكريمة ، لأن الله سبحانه وتعالى منزه عن المعنى الأول الذي ذكر .

1-سورة الذاريات : الآية 47.

وقال يحيى بن منصور:

فلما نأت عنا العشيرة كلّهـــا   أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فمـــا أســـلمتنا عنـــد يـــوم كريهـــة   ولا نحن أغضينا الجفون على وتـــر

التوريــة في لفظــة «الجفــون» قــد يــراد بهــا جفــون العــين، وهــذا هو المعنى القريب المورّى بـه، وقـد تقـدم لازم مـن لوازمـه عـلى جهـة الترشيح وهو«أغضينا » لأنه من لوازم العين.

وقد يراد بها جفون السيوف أي أغمادها، وهذا هو المعنـى البعيـد المراد المورى عنه.

- والنوع الثاني:

مذ همت من وجدي في خالها   ولم أصل منه إلـــى اللـــثم

قالت: قفوا واستمعوا ما جرى   خالي قد هـــام بـــه عمـــي!

التورية هنا في قوله : «خالها» فقد يراد به الخال أخ الأم وهو المعنى القريب المورّى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية عـلى جهـة الترشـيح وهو «عمي »، وقد يقصد به النقطة السوداء التي تظهر غالبـا في الوجـه وهي علامات الجمال في المرأة، وهذا هو المعنى البعيد الخفيّ المورّى عنـه وهو المقصود .

✍ التورية المبيّنة

وهي ما ذكر فيها لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية أو بعده.

وهي نوعان :

- الأول:

ما ذكر لازم المورّى عنه قبله مثل قول البحتري:

ووراء تسدية الوشـــاح مليــة   بالحسن تملح في القلوب وتعــذب

التورية في قوله «تملح» فقـد يـراد بـه الملوحـة التـي هـي نقـيض العذوبة، وهذا هو المعنى القريب المورّى به وهوغير المراد.

وقد يراد به الملاحة أي الفتنة والجمال، وهو المعنى البعيـد المـورّى عنه وهو المراد. وقد تقدم من لوازمه على التبيين«مليّة بالحسن».

النوع الثاني، من التورية المبينة:

هو الذي ذكر فيه لازم المورّى عنه بعد لفظ التورية.

مثل قول الشاعر:

أرى ذنب السّرحان في الأفق طالعــا   فهل ممكــن أن الغزالــة تطلــع؟

فالبيت فيه توريتان إحداهما «ذنب السرحان» والمراد به ضوء النهار، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه، وهو مراد الشاعر وقد بيّنه بذكر لازمه بعده بقوله: «طالعا».

ويراد به ذنب الحيوان المعروف وهو الذئب أو الأسد وهذا هو المعنى القريب المورّى به وهو غير مراد .

والتورية الثانية في قوله : «الغزالة» فإنه يحتمل أن يكون المراد بها الشمس، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه، وهو مراد الشاعر وقد بيّنه بذكر لازمه بعد بقوله: «تطلع».

ويحتمل أن يكون المراد بها الغزالة أي الحيوان الرقيق المعروف وهذا هو المعنى القريب المورّى به والذي لم يقصده الشاعر.

✍ التورية المهيّأة

وهي التي لا تقع فيها التوريـة ولا تتهيـأ إلا بـاللفظ الـذي قبلهـا أو باللفظ الذي بعدها، أو تكون التورية في لفظـين لـولا كـل مـنهما لمـا تهيأت التورية في الآخر.

وهي ثلاثة أنواع :

- النوع الأول من التورية المهيأة:

هو الذي تتهيأ فيه التورية من قبل.

مثل قول ابن سناء الملك يمـدح الملـك المظفـر صـاحب حماة:

وسيرك فينا سيرة عمريـــة فروحت عن قلب وأفرجت عن كرب

وأظهرت فينا من سميك سنة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

موضع التورية في قوله :

«الفرض والندب» وهما يحتملان أن يكونا من الأحكام الشـرعية، وهو المعنى القريب المورّى به.

ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطـاء والنـدب صـفة الرجـل السريع في قضاء الحوائج المـاضي في الأمـور، وهـذا هـو المعنـى البعيـد المورّى عنه.

ولولا ذكر «السنّة» لما تهيأت التورية فـيهما ولا فهـم مـن الفـرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية.

- **النوع الثاني من التورية المهيأة:**

هو الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعده.

مثل قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الأشـعث بـن قيس: «إنه كان يحوك "الشمال" "باليمين" »، فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة وهي الكساء يشتمل به، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه.

وقد يراد بها "الشمال" التي هي إحدى اليدين ونقـيض اليمـين، وهذا هو المعنى القريب المورّى به، ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبـه السامع لمعنى اليد.

- النوع الثالث من التورية المهيّأة:

هو الذي تقع التورية فيه في لفظين لولا كل منهما لما تهيّأت التورية في الآخر.

مثل قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان؟

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

والتورية في قوله (الثريا وسهيل)، فإن «الثريا» يحتمل أن يكون الشاعر أراد بها بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد، ويحتمل أن يكون أراد بها نجم الثريا، وهذا هو المعنى القريب المورى به.

و «سهيل» يحتمل أيضا أن يكون سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل كان رجلا مشهورا من اليمن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل أن يكون النجم المعروف بسهيل، وهذا هو المعنى القريب المورى به. ولولا ذكر «الثريا» التي هي النجم لم يتنبه السامع لسهيل. وكل واحد منهما صالح للتورية.

ومما ينبغي التنبيه إليه في هذا المقام أن التورية هنا لا تصلح أن تكون مرشحة ولا مبيّنة؛ لأن الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما إلا بلازم خاص. والفرق بين اللفظ الذي تتهيأ به التورية، واللفظ الذي ترشح به، واللفظ الذي تتبيّن به- أن اللفظ الذي تقع به التورية مهيّأة لو لم يذكر لما تهيأت التورية أصلا، وأن اللفظ المرشح واللفظ المبين إنما هما مقويان للتورية، فلو لم يذكرا لكانت التورية موجودة.

والتورية من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة، ولهذا نرى الكثيرين جدا من شعراء مصر والشام خاصة في القرن السادس والسابع والثامن للهجرة يتوسعون ويفتنون في استعمالها.

ويقال إن المتنبي هو أول من التفت إليها واستخدمها في شعره على نحو ظاهر، ولكن التحقيق يظهر أن شعراء البديع في العصر العباسي الأول والثاني من أمثال أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري قد سبقوه إليها.

ويعتبر النقاد القاضي الفاضل «596 هـ» أول من فتح باب التورية لأهل عصره ومن بعدهم بما أودع منها في نظمه ونثره.

والقاضي الفاضل هو عبد الرحيم بن علي وزير السلطان صلاح الدين، اشتهر بالقاضي الفاضل، وهو من أئمة الإنشاء وتعرف طريقته في الكتابة بالطريقة الفاضلية وقد تأثر بها وقلّدها من جاء بعده من الشعراء والكتاب فتأثر به في الولع بالتورية كثيرون من شعراء مصر من أمثال :

- ابن سناء الملك، والسرّاج، والورّاق، والجزار، والحمامي وابن دانيال، ومحيي الدين بن عبد الظاهر، وجمال الدين بن نباته وصلاح الدين الصفدي.

" ولعل تقي الدين بن حجة الحموي من أكثر رجال البديع المتأخرين اهتماما بالتورية.

وتشير مصادر الأدب والنقد إلى أن التورية كنوع من البديع المعنوي "لم يحفل بها المتقدمون كثيرًا وأن ماكان يأتي منها في شعرهم يقع من غير قصد أوتعمد منهم ، ثم أخذ الاهتمام بها ابتداء من عصر المتنبي يزداد شيئا فشيئا حتى وصلت إلى عصر القاضي الفاضل فتلقفها وتوسع في استعمالها في شعره ونثره إلى الحد الذي لفت الأنظار إليها.

وقد جاراه فيها شعراء مصر والشام خاصة في عصره وبعد عصره، وقد أدى الإعجاب بها والمبالغة في استعمالها والإكثار منها والتكلف فيها إلى إفساد الكثير من شعر المتأخرين وإحالته إلى رياضة ذهنية وحيل لفظية ينطبق عليها قول القائل:

"وما مثله إلا كفارغ بندق

خلى من المعنى ولكن يفرقع!"[1]

1- البديع ، د /عبد العزيز عتيق.

فنون البلاغة
ذات الصلة بالتورية

هناك فنون بلاغية ذات صلة بفن التورية منها :

✍ الازدواج

هو اتفاق الجمل المتتالية في الطول والتركيب و الوزن الموسيقي بشرط ألا يوجد اتفاق في الحرف الأخير ، ويأتي في النثر فقط.

مثل:" حبب الله إليك الثبات، و زيّن في عينيك الإنصاف وأذاقك حلاوة التقوى، لا يترفع عنه نبي أو زاهد ، ولا ينحط عنه دني أو خامل ".

قيمته الفنية: مصدر للموسيقى الهادئة التي تطرب الأذن.

✍ مراعاة النظير :

هو الجمع بين الشيء وما يناسبه في المعنى بشرط ألا يكونا ضدين كما في قول المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ويقول إيليا أبو ماضي:

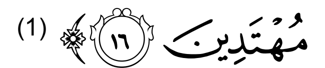
ولك الحقول و زهرها وأريجها ونسيمها والبلبل المترنم

وكقولك :

فاطمة تقرأ، وزينب تكتب .وقولك : أكلنا و شربنا

وقول الله تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ

 (1)

قيمته الفنية :

تقوية المعنى ، وتأكيده و نقل إحساس الأديب .

التصريع:

هو تشابه نهاية الشطر الأول مع نهاية الشطر الثاني في البيت الأول

مثال:

يقول ابن زيدون :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ويقول المتنبي :

مغاني الشعب طيبا في المغاني   بمنزلة الربيع من الزمان

1- سورة البقرة:16.

ويقول عنترة:

سكت فغر أعدائي السكوتُ　　　وظنوني لأهلي قد نســيتُ

سر جمال التصريع :

" يحدث نغما موسيقيا يطرب الأذن"

✍ حسن التقسيم

هو تقسيم البيــت إلى جمــل متســاوية في الطــول والإيقــاع ، ويــأتي في الشعر فقط.

يقول البوصيري:

أكرمْ بخَلْق نبيّ زانه خُلــقٌ　　　بالحسن مشتملٍ بالبشر متَّسمِ

كالزهر في ترفٍ والبدر في شرفٍ　　　والبحر في كرمٍ والدهر في هِمَمِ

ويقول شوقي :

الوصل صافية، والعيش ناغية　　　والسعد حاشية والدهر ماشينا

ويقول خليل مطران :

متفرد بصبابتي ، متفــرد　　　بكآبتي ، متفــرد بعنــائي

سر جماله :

" يحدث نغما موسيقيا يطرب الأذن"

الالتفات:

هو الانتقال من ضمير إلى ضمير كأن ينتقل من ضمير الغائب إلى المخاطب أو المتكلم و المقصود واحد كقوله تعالى:-

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [1]

فقد تكلم الله عن المشركين بضمير الغائب في قوله :

(وحشرناهم) ثم بضمير المخاطب في قوله : (جئتمونا) . وتكلّم جلّ وعلا عن نفسه فقال : (وحشرناهم) بضمير المتكلم ثم قال: (وعرضوا على ربّك).

1- سورة الكهف : الأية :47-48.

يقول البارودي :

أنا المرء لا يثنيه عن طلب العلا نعيم ولا تعدو عليه المفـــاقر

فقد انتقل الشاعر من ضمير المتكلم (أنا) إلى ضمير الغائـب الهـاء في قوله :(يثنيه).

سر جمال الالتفات:

إثارة الذهن وجذب الانتباه ودفع الملل.

✍ المشترك اللفظي:

عرفه الزبيدي في مقدمة تاج العروس أنه :

"اللفظُ الواحد الدالُّ على معنَيَيْن مختلفين فأكثر دلالةً على السَّواءِ عند أهلِ تلك اللغة" [1]

✍ ومن أمثلته :

أورد السيوطي: قال أبو الطيب اللغوي: أخبرني محمـد بـن يحيـى قال: أنشدني أبو الفضل جعفر بن سليمان النوفلي عن الحِرْمازي للخليل

1- تاج العروس ، الزبيدي .

ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها في قول الشاعر :

يا ويحَ قلبي من دواعي الهوى　　إذ رَحل الجيرانُ عند الغُروبْ

أتبعتُهم طَرْفي وقد أزمعوا　　ودمعُ عينيَّ كفيض الغُروبْ

كانوا وفيهم طَفْلَةٌ حرَّة　　تفترٌّ عن مثل أقاحي الغُروبْ

✍ عوامل نشأة المشترك اللفظي

عدة عومل كانت سبباً فى نشأة المشترك اللفظى منها:

اختلاف اللهجات

تعددت القبائل في جزيرة العرب ، وتعددت معها لهجاتها ومعاني الكلمات فقد يكون اللفظ بمعنى في قبيلة وبعنى آخر في قبيلة أخرى ، ومثال ذلك ماروي أن خالد ابن الوليد في إحدى الغزوات أمسك بعدد من الأسرى ووضعهم في خيمة ، وكانت الليلة شديدة البرودة فأشفق خالد بن الوليد على الأسرى من شدة البرد "فاستدعى جنديا من الجنود وقال له : اذهب إلى خيمة الأسرى وأدفئهم ، فقال له الجندي سمعا وطاعة ، وبعد قليل سمع خالد جلبة

وصياحا وضوضاء في خيمة الأسرى فوجد الجندي قد قتل الأسرى جميعا ، فغضب خال وقال للجندي من فعل هذا ؟ قال له الجندي : أنا ياسيدي ، قال له خالد : قلت لك أدفئهم ، فقال الجندي : وأنا فعلت ذلك ياسيدي ، فالإدفاء في لهجة قبيلتنا كنانة يعني القتل " [1].

التطور اللغوى (الصوتى والدلالى)

لاتظل بعض المفردات على حالها ؛ بل يلحقها التغيير بمرور الزمن ، فقد تكون بمعنى في فترة من الفترات ثم يلحقها التطور فكلمة (العين) مثلا معروف أنها عضو من أعضاء الإنسان وأطلقت على عين الماء ، ومع مرور الوقت صارت تعني في بعض الأزمنة الرقيب أو الجاسوس أو المخابرات ، ذلك "لأن التطور اللغوى عامل أساس من عوامل نشأة المشترك اللفظى، لأن الكلمة قد تتطور بعض أصواتها مع احتفاظها بمعناها." [2]

الاقتراض من اللغات الأخرى:

اللغة كالكائن الحي ومن سمات الكائن الحي التفاعل مع ما حوله ، وكذلك اللغة تتفاعل مع ا اللغات المجاورة تأخذ منها

1- عبقرية خالد للعقاد بتصرف.
2- فصول فى فقه العربية ، د/ رمضان عبد التواب ص.326

وتعطي، ودليل ذلك أن كثيرا من المفردات العربية دخلت الإنجليزيـة ، كما أخذت العربية من غيرها من اللغات كاليونانية والفارسية وغيرها .

من ذلك: كلمة البرج بمعنى: الحصن، قد استعارته اللغة العربيـة من اليونانية.

اختلاف الاشتقاق:

«تتفق لفظتان متقاربتان فى صيغة واحدة، فينشـأ عـن ذلـك تعـددٌ فى معنى هذه الصيغة يؤدى إلى جعلها من قبيل المشـترك، وهـى ليسـت منه إلا فى الظاهر"[1]

بمعنى أنه قد يكـون للقواعـد الصـــرفية دورٌ في ظهـور المشــترك اللفظى، عندماتكون حروف الكلمة واحدة ولكنها تأتي بمعـان مختلفـة مـن ذلـك الفعـل (وجـد) الـذى يـأتى بمعنـى: العثـور عـلى الشـىء، والغضب، والحب والعشـق، والحـزن ، وفـق تشـكيل حـروف الفعـل الثلاثة .

1- فقه اللغة د/ وافى. ص192

الإبهام على السامع:

فقد يعمد القائل أو الكاتب إلى الإبهام والتعمية على السامع وخير مثال لذلك ما رُوى عن أبى بكر الصديق – رضي الله عنه – وقد سأله رجل عن النبى ﷺ وقت ذهابهما إلى الغار: مَنْ هذا؟

فقال: «هذا رجل يهدينى السبيل».

فوائد المشترك اللفظي:

للمشترك اللفظي أثر في تنمية الألفاظ في اللغة العربية فهو يلبي الحاجة المتجددة للدلالة على معان تتولد باستمرار، وبات من الواضح أن أهل اللغة يميلون إلى التعبير عن المعاني المتعددة بكلمة واحدة لما " لذلك من اقتصاد في بذل الجهد، فضلا عن أن الألفاظ محدودة قاصرة عن الوفاء بمطالب التعبير ولا سيما في الأفكار المجردة" (1).

"ولاشك أن المشترك اللفظى وسيلة جليلة من وسائل الثراء اللغوى للغة، فدلالة الكلمة الواحدة على عدة معانٍ، يعطى فرصة عظمى للمتكلم حينما يكون فى حاجة إلى التعمية على السامع

1- المدل إلى فقه اللغة : 286.

كما أنه – أى المشترك – يفيد منه الأدباء فى بعض الأحيان حيث (أدت كثرة المشترك اللفظى فى العربية، إلى ذيوع ظاهرة (التورية) فيها) [1].

الجناس:

الجناس (بكسر الجيم) :

تشابه لفظين، مع اختلافهما في المعنى. وهو أضرُبٌ كثيرة ولنبدأ بالجناس التام فهو سيّد الموقف وهو نوعان:

✍ الجناس التام:

ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة :

- ✓ نوع الحروف
- ✓ وعددها
- ✓ وهيئتها
- ✓ وترتيبها مع اختلاف المعنى

1- فصول فى فقه العربية ص335.

مثل قول الله تعالى :

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥﴾[1]

- فالساعة الأولى: يوم القيامة.
- والساعة الثانية: يراد بها من الزمان .

وقال تعالى :

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣ ﴾﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾[2]

-ومن أمثلة الشعر قول الشاعر :

فدارِهم مادمت في دارهـــم   وأرضِهم مادمت في أرضهم

وحيّهم مادمت في حيّهم

1- سورة الروم: الآية 55.
2- سورة النور:43-44

وقول الشاعر :

لو زارنا طيف بنت العمّ أحيانا ونحن في حفر الأجداث أحيانا

وقول الشاعر:

عضّـــنا الـــدهر بنابـــه ليـــت مـــا حـــلّ بنـــا بـــه

وقول الشاعر:

إذا ملكٌ لـــم يكـــن ذاهبـــه فدعـــه ، فدولتـــه ذاهبـــة

وقول الشاعر في رثاء بغداد حين هدمها التتار :-

إن لم تقرح أدمعي أجفـــاني من بعدِ بعدكُمُ فما أجفاني؟

ومن نماذج الجناس المشهورة التي تناقلتها كتـب الأدب ويتـداولها معلمواللغة العربية كثيرًا في مجال التدريس وهم يعرضون فن الجناس :

- قول الشاعر إسماعيل صبري :

طرقت الباب حتى كلّ متني فلما كـــلّ متنـــي كلّمتنـــي

فقالت لي أيا اسماعيلُ صبراً فقلت لها أيا اسماعيلَ صبري

- وقول القائل :

قبورنا تبنى ونحن ما تبنـــا   ياليتنا تبنا من قبل أن تبنى

ومن أمثلة الجناس التام قول الشاعر:

فلم تضعِ الأعادي قدر شاني   ولا قالوا فلانٌ قد رشـــاني

الجناس هنا نلمحه في قوله (قدر شاني ، وقوله قد رشاني)

ومنه قول الشاعر:

إلى حتفي ســعى قــدمي   أرى قـــدمي أراق دمـــي

وقول أبو الفتح البستي :

يا من يُضيعُ عمرَه متمادياً في اللهو أمْسِكْ   واعلمْ بأنك لامحالةَ ذاهبٌ كذهاب أمسِكْ

قال مجنون ليلى :

أقولُ لظبي مرَّ بي وهو هائمُ :   أأنتَ أخو ليلي ؟ فقال : يُقالُ

فقلت : أفي ظل الأراكةِ والغضا   يُقالُ ويُستظلل ؟ فقــال يُقَــالُ

وقـــال المتنبـــي مادحـــا ســـيف الدولـــة ومفتخـــرًا بفروســـيته وهو يوطد أركان حكمه ويقيم دعائم دولته القوية ويصون أركانها مـن كيد الأعادي المتربصين بها هنا وهناك :

بسيفِ الدولةِ اتسقت أمـــورٌ   رأيناهـــا مبـــددة النظـــامِ

سما وحمى بني سامٍ وحـــام   فليس كمثله ســـام ٍ وحـــامٍ

وقول الشاعر:-

قد راعني بدرُ الدجى بصدوده   ووكّلَّ أجفاني برعيٍ كواكِبه

فيا جزعي مهلاً عساهُ يعود لي   ويا كبدي صبراً على ما كواكِ به

- وقول الشاعر:

ســـل ســـبيلا إلـــى النجـــاة   ودع دمع عيوني يجري لهم سلســـبيلا

- وقول الشاعر:

قوم لوأنهم ارتاضوا لما قرضوا   أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

- وقول الشاعر:

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تكن بالغت في تهذيبها

وإذا عرَضت الشعرَ غيرَ مهذّب ظنوه منك وساوساً تهذي بها

ومن الأبيات المشهورة التي يرددها الناس -كثيرًا :

رأيت النــاس قــد مــالوا إلـــى مـــن عنـــده مـــالُ

ومَـــن لا عنـــده مـــال فعنـــه النـــاسُ قــد مــالوا

رأيت الناس قــد ذهبــوا إلـــى مـــن عنـــده ذهـــبٌ

ومَـــن لا عنـــده ذهـــب فعنه النـــاس قــد ذهبــوا

رأيـــت النـــاس منفضـــة إلـــى مـــن عنـــده فضـــة

ومَـــن لا عنـــده فضـــة فعنـــه النـــاس منفضـــة

وقول الامام الشافعي:

رأيتكَ تكويني بِميسم مِنة كأنك كنت الأصل في يوم تكويني

فدعني من المَنّ الوخيم فبلغةٌ من العيش تكفيني الى يوم تكفيني

وقول الشاعر :

أوصى لي البين أن اشقى بحبكم   فقطّع البيّن أوصالي وأوصى لـــي

وقول أحدهم : يجلس في الصدر واسعُ الصدر .

✍ الجناس الناقص:

هـو مـا اختلفـت فيـه الكلمتـان في عـدد الحـروف أو شـكلها أو هيئتها أو ترتيبها مع اختلاف في المعنى .

مثال :

قال البهاءُ بن زهير:

أشـــكو وأشـــكرُ فعلـــه   فاعجب لشاكٍ منـــه شـــاكرْ

طرفي وطرفُ النجم فيـــه   كلاهمـــا ســـاهٍ وســـاهرْ

ففي هذا المثال ثلاثة أمثلة للجناس النـاقص لاخـتلاف الكلمتـين بحرف واحد .

- فالأول: (أشكو وأشكر) :
- الثاني: (شاك وشاكر)
- الثالث :(ساه وساهر)

وقيل :-

(رحمَ الله امرأ أمسكَ ما بين فكيه، وأطلق ما بين كفيه) فالجناس هنا ناقص للاختلاف في ترتيب الحروف لا اختلافها في النوع :ثم يأتي الجناس الناقص باختلاف ضبط الحروف .

قال الشاعر :

أنكرتُ من أدمعي تترى(سَواكبُها) سلي دموعي هلْ أبكي (سِواكِ بها)

قال رسول الله ﷺ

(الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة)

-قيل في موت أحد الكرام حين سقط من فرسه:-

"إنا لله وانا إليه راجعون ، قتل الجوادُ الجوادَ"

✍ ومن أمثلة الجناس الناقص في النثر :

إن الدنيا إذا أقبلت بلت ، وإذا أدبرت برت ، وإذا أطنبت نبت وإذا أركبت كبت ، وإذا حلَتْ أو حلتْ ، وإذا أبهجت هجَتْ وإذا أسعفت عفَتْ ، وإذا أينعتْ نعَتْ ، وإذا أكرمت رمتْ وإذا

عاونت ونَتْ ، وإذا ماجنَتْ جنَتْ ، وإذا صالحتْ لَحَتْ وإذا بالغتْ لغَتْ وإذا ولّهتْ لَهَتْ ، وإذا سامحتْ محَتْ وإذا واصلَتْ صَلَتْ ، وإذا وفّرتْ فَرَتْ ، وإذا توّهَتْ وهَتْ وإذا بسطَتْ سطَتْ.

✍ الفرق بين الجناس التام والتورية :

الذي يعنينا هو الجناس التام لما فيه من تشابه بينه وبين التورية فالكلمتان في الجناس التام تتشابهان في الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها وتشكيلها مع اختلاف معنى كل كلمة عن الأخرى .

- وتعد التورية، والجناس التام من أنواع المشترك اللفظي.

رؤية نقدية حول صلة التورية ببعض أنواع البديع:-

لو دققنا النظر في ما مر ذكره من محسنات بديعية لوجدنا الآتي:-

- المحسنات جميعها تقوم على قاعدة ثنائية الصياغة :
- فالازدواج علاقة تقارب وتشابه في المعنى بين جملتين فأكثر والمساواة ومراعاة النظير علاقة تقارب في المعنى بين جملتين والجناس علاقة اتفاق واختلاف، اتفاق بين كلمتين في عدد

الحروف وهيئتها وتشكيلها واختلاف في المعنى في حالة الجناس التام .

- وفي حالة الجناس الناقص توجد علاقة اتفاق واختلاف؛ اتفاق في بعض الحروف مع اختلاف في المعنى.
- وفي السجع، توجد علاقة ثنائية، أي كلمتين، مع وجود علاقة اتفاق بينهما حيث تتفق الكلمتان في الحرق الأخير.
- وفي الطباق نلاحظ الثنائية بين كلمتين مع وجود علاقة اختلاف بينهما؛ هو ماأسميناه ذكر المعنى وضده .
- وفي المقابلة توجد الثنائية نفسها ولكن بين جملتين، مع وجود علاقة اختلاف بينهما فكل كلمة تكون عكس كلمة في الجملة الأخرى.

وهكذا يتحكم في صياغة المحسنات شيئان : ثنائية الصياغة والعلاقة سواء أكانت علاقة اتفاق أم علاقة اختلاف ، وتستطيع أن تتبين ذلك حينما تتأمل ما تشتمل عليه المحسنات البديعية من مباحث .

وفي المشترك اللفظي نجد كلمة واحدة بمعنيين أو عدة معان تفهم من السياق الذي وضعت فيه.

وفي التورية يختلف الأمر؛ إذ نجدها كلمة واحدة لكنها تعتمد على ثنائية المعنى: معنى قريب ويكون غير مطلوب، ومعنى بعيد وهو المطلوب دائما ،حتى تتحقق التورية ؛ لذلك كان لها(أي التورية) خصوصية تنفرد بها عن غيرها من المحسنات .

آخذين في الاعتبار أن المحسنات جميعها تأتي بغرض:

- إحداث إيقاع وموسيقا ترتاح لها وتطرب الأذن ، كما هو الحال في السجع.
- إبراز الشيء وتوضيحه كما هو الحال في الطباق والمقابلة .
- توضيح المعنى وإثارة الذهن كما في الجناس الناقص والتام .
- تزيين الأسلوب وإضفاء مسحة الجمال عليه ، وهذا سبب تسميتها بالمحسنات البديعية ، ولأجل ذلك أقبل عليها كثير من الشعراء والكتاب ، وغالى بعضهم في الإتيان بها والقصد إليها في إبداعاتهم، وحسبك أن تقرأ ماقاله أبو تمام في وصف الربيع لتتبين مااشتملت عليه من قدر كبير من المحسنات في قصيدته الرائية المشهورة :

رقتْ حواشي الدهرُ فهيَ تمرمرُ وغَدَا الثَّرَى في حَلْيِهِ يَتكسَّرُ

نَزلَتْ مُقَدمَةُ المَصِيفِ حَمِيدةً ويدُ الشتاءِ جديدةُ لا تكفرُ

لولا الذي غرسَ الشتاءُ بكفهِ لاَقَى المَصِيفُ هَشَائِماً لاتُثْمِرُ

كمْ ليلةٍ آسى البلادَ بنفسهِ فيها ويَــومٍ وَبْلُــهُ مثْعَنْجِــرُ

مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّحْوُ منه وبَعدَه صَحْوٌ يَكادُ مِنَ الغَضَارة يُمْطِرُ

غَيْثَانِ فالأَنْوَاءُ غَيْثٌ ظَــاهِرٌ لكَ وجههُ والصحوُ غيثٌ مضمرٌ

وندىً إذا ادهنتْ بهِ لممُ الثرى خِلْتَ السحابَ أتاهُ وهو مُعَذرُ

****

أربيعنا في تسعَ عشرةَ حجةً حَقّاً لَهنَّكَ لَلرَّبيــعُ الأزْهَــرُ

ما كانتِ الأيامُ تسلبُ بهجةً لو أنَّ حسنَ الروضِ كانَ يعمرُ

أولا ترى الأشياءَ إنْ هيَ غيرتْ سَمُجتْ وحُسْنُ الأرْضِ حِينَ تُغَيَّرُ

****

يا صاحِبَيَّ تَقصَّيا نَظرَيْكُمَــا تريا وجوهَ الأرضِ كيفَ تصورُ

تريا نهاراً مشمساً قد شــابهُ زهرُ الربا فكأنما هو مقمــرُ

دنيا معاشٌ للورى حتـــى إذا حل الربيعُ فإنما هيَ منظـــرُ

****

أضحتْ تصوغُ بطونها لظهورها نَوْراً تكادُ له القُلــوبُ تُنَــورُ

مِن كل زَاهِرَةٍ تَرقْرَقُ بالنَّدَى فكأنها عـــينٌ عليـــهِ تحـــدرُ

تبدو ويحجبها الجميم كأنها عذراء تبـــدو تـــارة وتخفـــر

حتى غدت وهداتها ونجادها فئتين في خلع الربيع تبختـــر

مصـــفرة، محمـــرة فكأنهـــا عصب تيمن في الوغا وتمضـــر

من فاقع غض النبات كأنه در يشـــقق قبـــل ثـــم يزعفـــر

أو ساطع في حمرة فكأن ما يدنو إليه من الهواء معصفر

صنع الذي لولا بدائع صنعه ماعاد أصفر بعد إذ هو أخضر

****

خلق أطل من الربيع كأنـــه خلق الإمام وهديه المتيسر

في الأرض من عدل الإمام وجوده ومن النبات الغض سرج تزهر

تنسى الرياض وما يروض فعله أبداً على مر الليـــالي يـــذكر

إن الخليفة حين يظلم حادث عين الهدى وله الخلافة محجر

كثرت به حركاتها ولقد ترى من فتـرة وكأنهـا تتفكـر

مازلت أعلم أن عقدة أمرها في كفه مذ خليـت تتخيـر

فيض من المحسنات اللفظية تغص به القصيدة تستطيع أن تتبينها في يسر، ففيها الازدواج ومراعاة النظير في قوله : غيث ظاهر وغيث مضمر ، فضلاً عما فيها من طباق .

والجناس في قوله : نورا تكاد له القلوب تنور .

والطباق بين : وهداتها ونجادها ، والمصيف والشتاء ، وبين مشمس ومقمر ، وبطون وظهور ، وتسلب وتعمر ، ومعاش ومنظر

وفي نموذج آخر ممتلىء بالصنعة اللفظية يقول مادحا :

فَحْواكَ عَيْنٌ على نَجْوَاكَ يامَـذِلُ*[1] حَتّامَ لاَيَتَقضّى قَوْلُـكَ الخَطِـلُ!؟

وإنّ أسمجَ من تشكو إليهِ هوىً من كانَ أحسنَ شيءٍ عنـدهُ العـذلُ

ما أقبلتْ أوْجُهُ اللذّاتِ سـافرةً مذْ أدبرَتْ بـاللوى أيامُنـا الأولُ

* مَذِلٌ : الإنسان الضجر القلق.

إن شئتَ ألا ترى صبراً لمصطبر فانظُرْعلى أَي حالٍ أصبَحَ الطّلَــلُ

كأَنّما جَادَ مَغْنــاهُ، فَغَيّــرَه دُمُوعُنا، يومَ بانُوا، وَهْيَ تَنْهَمِــلُ

ولَوْتَرَاهُمْ وإيّانــا وموْقِفَنَــا في مأتمِ البينِ لاستهلالنا زجــلُ

من حرقة أطلقتها فرقةٌ أسرتْ قلباً ومنْ غزلٍ في نحرهِ عــذلُ

يخزي ركام النقا ما في مآزرها ويَفْضَحُ الكُحْلُ في أَجْفانِها الكَحَــلُ

هانتْ على كلِّ شيءٍ فهو يسفكها حتى المنازلُ والأحداجُ والإبــلُ

بالقائمِ الثّامِنِ المُسْتَخْلَفِ اطّأَدَتْ قواعدُ الملكِ ممتداً لها الطــولُ

بيُمْنِ مُعْتَصِمٍ باللّــهِ لا أَوَدٌ بالمُلْكِ مُذْضَمَّ قُطْرَيْهِ ولاخَلَــلُ

يَهْنِي الرَّعِيّة َأَنَّ اللّهَ مُقْتَدِرً أعطاهمُ بأبي إسحاقَ مــا ســألوا

لو كانَ في عاجلٍ من آجل بدلٌ لَكانَ في وَعْدِهِ منْ رِفْدِهِ بَــدَلُ

تغايرَ الشعرُ فيه إذ سهرتُ له حتى ظننتُ قوافيــهِ ســتقتتلُ

ماإنْ يُبَالي إذا حلّى خَلائقَــهُ بجُودِهِ أَيُّ قُطريْهِ حوَى العَطَــلُ

كأَنَّ أمْوَالَهُ والبَذْلُ يَمْحَقُهــا نهبٌ تعسفهُ التبــذيرُ أو نفــلُ

شَرسْتَ بَلْ لِنْتَ بَلْ قانَيْتَ ذَاكَ بِذا   فأَنتَ لاَشكَّ فيكَ أَنتَ السَّهْلُ والجَبَلُ

يدي لمنْ شاءَ رهنٌ لمْ يذُقْ جُرعاً   مِنْ راحتَيْكَ درَى مالصَّابُ والعَسَلُ

صلّى الإِلَهُ على العَبّاسِ وانبجَسَتْ   على ثَرىً حلّةُ الوَكافَـــةُ الهطُــلُ

ذَاكَ الذي كَانَ لَوْ أنَّ الأنامَ لَهُ   نسلٌ لما راضهُم جبنٌ ولا بَخَلُ

أبو النجومِ التي ما ضنَّ ثاقبها   أَن لْم يكَنْ بُرْجهُ ثَوْرٌ ولاحمَلُ

من كلِّ مشتهرٍ في كلِّ معتركٍ   لم يعرفِ المشتري فيه ولا زُحَــلُ

يَحْميهِ لأَلاَؤُهُ أَولَـــوْ ذَعِيَّتُـــهُ   من أنْ يذال بمنْ أو مِمَن الرِّجلُ

وَمَشْهَدٍ بينَ حُكْم الذُّل مُنْقَطِعٌ   صاليهِ أو بحبالِ الموتِ متصلُ

ضَنْكٍ إِذاخَرِسَتْ أبطَالُه نَطَقَتْ   فيه الصَّوارِمُ والْخَطّية ُالــذُّبلُ

لايَطمَعُ المَرْءُ أَنْ يَجْتَابَ غَمْرَتَه   بالقولِ مَا لَمْ يكُنْ جِسْراً له العملُ

جليتَ والموتُ مبدٍ حرَّ صفحتِهِ   وقدْ تفرعَنَ في أوصالهِ الأجلُ

أبحْتُ أوعارَه بالضربِ وهو حمىً   للحرْب يَثْبُتُ فيهِ الرَّوْعُ والوَهلُ

آلُ النبي إذا ما ظلمةٌ طرقَتْ   كانُوا لنا سُرجاً أنتمْ لها شعلُ

يستعذبون منايـــاهم كـــأنّهمُ   لا ييأسونَ من الدنيا إذا قُتلوا

قَوْمٌ إذَاوعدواأَوْ أَوْعَدُوا غَمرُوا   صدقاً ذوائبَ ما قالُوا بما فعلُوا

أسدُ العرينَ إذا ما الروعُ صـــبحَها   أوصَبِّحْتهُ، ولكِنْ غَابُها الأسَلُ

تَنَاوَلُ الفَوْتَ أَيدِي المَوْتِ قَادِرَةً   إذا تناولَ سيفاً مـــنهمُ بطـــلُ

ليسقمِ الدهرُ أو تصححْ مودتُهُ   فاليَوْمَ أَوّلَ يَوْمٍ صَحّ لي أَمـــلُ

أَدْنَيْتُ رَحْلي إلى مُدْنٍ مَكارِمَهُ   إليّ يهتبلُ اللذْ حيـــثُ أهتبـــلُ

يَحميهِ حَزْمٌ لِحَزْمِ البُخْلِ مُهْتَضِمٌ   جوداً وعرضٌ لعرض المالِ مبتذلُ

فِكْرٌ،إِذَا رَاضهُ رَاضَ الأُمورَ بهِ   رَأْيٌ تَفَنّن فيهِ الرِّيْثُ والعَجَلُ

قَدْ جَاءَ مِنْ وَصفِكَ التّفْسِيرُ مُعْتَذِراً   بالعجزِ، إنْ لم يغثني اللهُ والجُملُ

لقد لبِسْتَ أَمِيرَالمؤمنينَ بها   حلْياً نِظَاماهُ بَيتٌ سَارَ أَومثـــلُ

غَريبةٌ تُؤنِسُ الآدَابُ وَحْشتَها   فما تَحُلٌ على قومٍ، فترتحِـــلُ

تستطيع أن تتبين هذا القدر الهائل من المحسنات البديعية في الأبيات السابقة مما يدل دلالة واضحة على ولع أبي تمام بالصنعة اللفظية .

والصنعة اللفظية ليست عيبا ، فهي إذا جاءت عبر الشعر أو النثر طبيعية لاتكلف فيها تكون محمود تروق في عين القارىء أو السامع أما الإسراف فيها بتعمد صياغتها والإتيان بها فهذا أمر ممقوت يذري بالعمل الأدبي ويقلل من شأنه .

بين التورية والتعريض

التعريض في اللغة :

- تعريض : مصدر عرّض .
- أي : فَهِمَ مِنْ كَلاَمِهِ تَعْرِيضاً بِهِ : تَلْمِيحاً مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ .
- ويقال : عرّض فلان لكذا : جعله عُرْضةً وهدفًا له .
- ويقال: عرّض له بالقول : لم يبيّنه ولم يصرِّح .
- ويقال: عرّض بفلانٍ ، ولَهُ : قال فيه قولا يعيبُه .
- عرّض لي فلانٌ تعريضاً: أي: قال فلم يُبَيِّن بصراحة اللفظ

التعريض اصطلاحا :

- أن تقول كلامًا لا تصرّح بمرادك منه، لكنه قد يشير إليه إشارة خفية.
- أو أن يطلق الكلام ويراد معنى آخر يفهم من السياق تعريضاً بالمخاطب، كقولك للمهذار: (إذا تمّ العقل نقص الكلام)
- وقد ورد في الأثر : "إن في المعاريض لمندوحةً عن الكذب"[1].

1- صحيح البخاري- باب الإيمان- المعاريض، رقم 5856 .

- وقد يكون التعريض بذكر مثل أو لغز أو قول مـأثور، وفيـه غمـز لا يفطن إليه إلا كل ذي بصر وتذوق بلاغي .

- والتعريض في خطبة المرأة: أنْ يتكلّم الخاطب بكلام يدل عـلى أنـه يريد خطبتها دون تصريح ومثال التعريض :

- في إحدى المحاضرات قال زميل لزميله بعد أن انتهت المحـاضرة: لا أرى طَحْنًا

- والتعريض هنا واضح : أن المحـاضرة لافائـدة منهـا ، لكنـه قالهـا بطريقة غير مباشرة.

- وانظر إلى التعريض في قوله تعالى :

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[1]

1- سورة التوبة:81.

فقوله عن نار جهنم أنها أشد حرًا هو تقريع لهم لأنهم لا يريدون القتال في معركة تبوك في الحر، وكأنه يقول لهم ستكونون في نار جهنم وهي أشد حرًا، ولعلهم يفقهون ذلك فيقدمون للقتال .

وجاء في الصناعتين [1] :

- "ومن مليح ما جاء في هذا الباب قول أبي العيناء، وقد قيل له: ما تقول في ابنيْ وهب؟ فاستشهد بقول الله تعالى :

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [2]

والتعريض – كما نقول في لغتنا اليومية الدارجة :-

(الكلام ليك ياجارة)

- فقد يقول الشابّ الراغب في الزواج لوالديه: ابنة عمّي صارت ناضجة.

1- سر الصناعتين، للعسكري ص 368.
2- فاطر : 12.

ومناسبةً لمن يخطبُها، تعريضاً بأنّه يريد أن يتزوّج ولا مانع لديه من خطبتها له

- ويقول طالب وظيفة ذات راتب في الدولة، بحضور من يملك توظيفه، أو باستطاعته أن يتوسط له لدى من يملك توظيفه: أنا لا عمل عندي أكسب منه مالاً، وعندي من المؤهلات كذا وعندي أسرة كبيرة أنا مسؤول عن إعالتهم، تعريضاً بأن يوظفه أو يتوسط له.

- **يقول الدكتور /وسام حسين جاسم:**

(تميّز العرب بشدّة فطنتهم، وهذا مما لا مندوحة إلى نُكرانه فكانوا يعرفون الكلام ظاهره وباطنه وبعيد مراميه، فينتفضوا إذا ضيموا فيما يُشمّ من كلام يُراد به غضّ قناةٍ لهم، وتنفرج أساريرهم إذا تلمّسوا خيرًا ورفعةً لشأنهم فيما يوجه له من كلام ولعلّ بلغاءهم من الخطباء والشعراء ومتحدّثيهم من القادة والعلماء، كانوا المبرّزين في هذا الجانب)[1] .

1- د. وسام حسين ، موقع : الأدب العربي الأليكتروني.

- جاء في البيان والتبيين أنه دخل رجل من محارب قيس – وهي إحدى العشائر – على عبد الله بن يزيد الهلالي، وهو عامل على أرمينية، وقد بات في موضع قريب منه غدير فيه ضفادع فقال عبد الله للمحاربي: ما تركتنا أشياخ محارب ننام في هذه الليلة، لشدة أصواتها.

فقال المحاربي:

أصلح الله الأمير، إنها أضلّت برقعا لها، فهي في بغائه أراد الهلالي **قول الأخطل:**

تنقّ بلا شيء شيوخ محارب وما خلتها كانت تريش ولا تبري

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدلّ عليها صوتها حيةُ البحرِ

وأراد المحاربي قول الشاعر لكلّ هلاليٍّ من اللؤمِ بُرقعٌ

ولابنِ هلالٍ بُرقعٌ وقميصُ

والحوار هنا بين الطرفين، قد اعتمد على الشعر، واتخذ منه وسيلة ينفذ من خلالها إلى بغيته ومقصده بطريقة غير مباشرة لم تأخذ المنحى المباشر، بل استندت إلى فطنة كلّ من المتحاورَيْن.

- رُويَ أنه كـان يـونس النحـويّ يختلـف إلى الخليـل يـتعلّم منـه العروض، فصعب عليه تعلّمه.

فقال له الخليل يوماً: من أيّ بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعــه   وجاوزه إلى مــا تســتطيعُ

ففطن يونس إلى ما عناه الخليل وترك العروض.

والخليل بهذا البيت أمكنـه أن يبلـغ الرسـالة إلى يـونس النحـوي ويفهمه – بطريق غير مباشر – أنه غير قادر على تعلم العروض وأوزانه، وخير له أن يتحول عن هذا العلم إلى علم آخر وقد كان .

- "رُوي عن أعرابيّةٍ مرّت بقـوم مـن بنـي نمـير، فـأداموا النظـر إليها، فقالت:

يــا بنــي نمــير، والله مــا أخــذتم بواحــدة مــن اثنتــين: لا بقول الله تعالى:

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ (1)

1- سورة النور:30.

ولا بقول جرير:

فغُضِّ الطّرفَ إنكَ مِن نميرٍ　　فلا كعبًا بلغــتَ ولا كلابـــا

فاستحيا القوم من كلامها وأطرقوا ، بعد أن فهمـوا مـافي كلامهـا من تعريض بهم ، وتلميح إلى مكانتهم بين القبائل . (1)

– وفي مجلس الشريف المرتضى المعـروف بتشـدّده في تتبـعِ عثـرات المتنبي وتقصّي المآخذ عليه، قال أبو العلاء له: لو لم يكن له إلا قوله:

لك يا منازلُ في القلوبِ منازلُ　　أقفرتِ أنتِ وهُنّ منكِ أواهلُ

لكفاه، فغضب المرتضى وأمـر بإخراجـه، ثـم قـال المرتضـــى لمـن حضره: أتدرون لم اختار الأعمى (أي أبـا العـلاء) هـذه القصـيدة دون غيرها من غُرر المتنبي؟ قالوا: لا، قال: إنما عرّض بقوله :

وإذا أتتكَ مذمّتي من ناقصٍ　　فهي الشهادةُ لي بأنيَ كاملُ

والقصة تبرز في وضوح ذكاء المتحاوريْن (الشريف المرتضىـ وأبي العلاء المعري) ، كما يقول عنها الدكتور طـه حسـين، وتـدلل بوضـوح

1- بلاغة النساء لابن طيفور.

على (حذق أبي العلاء في التعريض، وقوة المرتضى في الفهم) ؛ إذ كان أبو العلاء محبا لشعر المتنبي ، وكان الشريف المرتضى مبغضا للمتنبي متتبعا لعثراته .

والقصة تدلنا على ماكان عليه العرب من فطنة واسعة وإدراك لمرامي الكلام ، وقدرة على إقناع الخصوم .

وجاء في طوق الحمامة :

" أول ما يستعمل أهل المحبة في كشف ما يجدونه إلى أحبتهم التعريض بالقول، إما بإنشاد شعر، أومثل، أو تعمية بيت، أو طرح لغز أو تسليط كلام والناس يختلفون في ذلك على قدر إدراكهم وعلى حسب مايرونه من أحبتهم من نفار أو أنس أو فطنة أو بلادة." [1]

وأنا أعرف فتى وجارية كانا يتحابان، فأرادها في بعض وصلها على بعض مالا يجمل ، فقالت: والله لأشكونك في الملأ علانية ولأفضحنك فضيحة مستورة ، فلما كان بعد أيام حضرت الجارية مجلس بعض أكابر الملوك وأركان الدولة وأجل رجال الخلافة، وفيه ممن يتوقى أمره من النساء والخدم عدد كثير، وفي جملة الحاضرين ذلك الفتى، لأنه

1- طوق الحمامة لابن حزم .

كان بسبب من الرئيس، وفي المجلس مغنيات غيرها فلما انتهى الغناء إليها سوت عودها واندفعت تغني بأبيات قديمة، وهي:

غزال قد حكى بدر التمام	كشمس قد تجلت في غمام
سبى قلبي بألحاظ مراض	وقد الغصن في حسن القوام
خضعت خضوع قلب مستكين	له وذللت ذلة مستهام
فصلني يافديتك في حلال	فما أهوى وصالا في حرام

✍ بلاغة التعريض :

التعريض مبحث من المباحث البلاغية المهمة التي يعتمد عليها كثير من الكتاب في موضوعاتهم ، ومؤلفاتهم ، وهو فن بلاغي يحمل " ملمحاً ذكيًّا وإشارات من خلالها تصل الرسالة مبطّنة إلى الآخر المقصود منها، من دون أنْ تُقحِم صاحبها في فجاجة المُلاحاة وصرامة التقريع للخصم، فهي تمثل أسلوباً لطيفاً يعبّر عن دماثة مستعملها" (1).

1- د. وسام حسين ، موقع : الأدب العربي الأليكتروني.

بين التورية والكناية

✍ الكناية لغة واصطلاحا :

- كنى عن كذ : تكلّم بما يُستدَلّ به عليه ولم يصرِّح.
- تعبير أُريد به غيرُ معناه الذي وُضِع له من جواز إرادة المعنى الأصليّ ؛ لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته ، وذلك لأغراض مختلفة منها الإيهام على السامعين أو نحو ذلك ، وقد يكون عن صفة أو موصوف أو نسبة صفة لموصوف :
- أمَّة الدولار: كناية عن أمريكا .
- الناطقون بالضاد : كناية عن العرب أو المتكلمين بالعربية .
- نظافة اليد : كناية عن الأمانة .
- تقولُ العربُ :فلانةٌ بعيدةُ مهوَى القُرط.

(مهوى القرط) هو المسافةُ من شحمة الأذن إلى الكتف وإذا كانت هذه المسافة بعيدة لزم أنْ يكون العنق طويلاً ، فكأن العربي بدل أنْ يقول :إن هذه المرأة طويلة الجيد أو العنق ، وقد عبر عن ذلك بتعبير جديد يفيد اتصافها بهذه الصفة ، وهذا ما يسمى (الكناية).

تنقسمُ الكنايةِ باعتبارِ المكنّى عنه ثلاثةَ أقسامٍ هي:

✍ **كناية عن صفة :**

مثل قول الخنساء في أخيها صخر :

طويلُ النجادِ رفيعُ العمــادِ كثيُر الرمــادِ إذا مــا شــتا

- طويل النجاد : أي طويل حمالة السيف وهي دلالة على الطول والشجاعة .
- رفيع العماد : والعماد أساس الخيمة وعمودها والمراد عراقة الأصل ورفعة المكانة .
- كثير الرماد : أي كثير حرق الحطب ومايتبع ذلك من كثرة الطبخ والمراد : كثرة كرمه .

والخنساء تريد أنْ تدل بهذه الجمل المتتابعة على أن أخاها صخرا: شجاع ، عظيم في قومه ، جواد ، لكنها عدلت عن التصريح بهذه الصفات إلى الإشارة إليها والكناية عنها ؛ لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة ، ثم إنه يلزم من كونه رفيع العماد أن يكون عظيم المكانة في قومه وعشيرته بالإضافة إلى كثرة الرماد ودلالته على الكرم الشديد .

✍ كناية عن موصوف:

مثل قول الشاعر:

الضَّاربين بكلِّ أبيضَ مخذَمٍ   والطاعنينَ مجامعَ الأضغانِ

- أبيض مخدم : يراد به السيف .
- مجامع الأضعان : يراد بها : القلوب التي في الصدور.
- والسيوف ، والقلوب : موصوف وليست صفة .

✍ فالكناية هنا عن موصوف :

أي أن الشاعر في هذا المثال يطري ممدوحيه ويصفهم بأنهم يطعنون القلوب وقت الحرب فانصرف عن التعبير بقوله السيف وعبر عنه بالأبيض ، واستعاض عن التعبير بالقلوب إلى ما هو أملح وأوقع في النفس وهو " مجامعُ الأضغان " ، لأنَّ القلوب تُفهم منه إذ هي مجتمع الحقد والبغض والحسد ، وهو مانطلق عليه (كناية عن موصوف).

✍ كناية عن نسبة:

مثل قول الشاعر -

المجــــدُ بــــين ثوبيـــــكَ والكـــــرمُ مــــلءَ بُرديـــــكَ

في هذا المثــال : أراد المتحـدث أن ينسـب المجـد والكـرم إلى مـن يخاطبه ، فعدل عن نسبتهما إلى ما له اتصال به ، وهو الثوبان والبردانِ.

- وهذا مايطلق عليه (كنايةٌ عن نسبة).

وانظر إلى قول البحتري في المديح :

يَغضُّونَ فَضْلَ اللّحظِ من حَيثُ ما بدا لهمْ عَنْ مَهيبٍ، في الصّدورِ، مَحبَّـبِ

الشاعر في هذا البيت يكني عن إكبار النـاس للممـدوحِ وهيبـتِهم إيــاه، بغـضِّ الأبصــارِ الــذي هــو في الحقيقــة برهــانٌ عــلى الهيبــة والإجلالِ،وتظهرُ هذه الخاصةُ جليةً في الكناياتِ عن الصفةِ والنسبةِ.

الكنايــةُ مَظهــرٌ مــن مظــاهر البلاغــةِ، وغايــةٌ لا يصــل إليهــا إلاَّ من لطف طبعُه، وصفتْ قريحتُه، والســرُّ في بلاغتهـا أنهـا في صـور كثيرةٍ تعطيك الحقيقةَ، مصحوبةً بدليلها، والقضيةً وفي طيِّها برْهانها.

✍ سر بلاغة الكناية :

أنهـا تضـعُ لـكَ المعـاني في صـورة المحسوسـاتِ، ولا شـكَّ أنَ هـذه خاصـةُ الفنـون، فـإنَّ المصـورَ إذا رسـم لـك صـورةً للأمـلِ أو لليأسِ، بهرَكَ وجعلكَ ترى ما كنتَ تعجزُ عن التعبـير عنـه واضـحاً ملموساً، فمثلُ :

- ✓ كثيرِ الرمادِ في الكناية عن الكرمِ.
- ✓ ورسولُ الشرِّ، في الكنايةِ عن المزاح.

ومن خواص التعريض والكناية أنهما تتيحان لك أنْ تَشْفيَ غلَّتَـك منْ خصمِك منْ غيرِ أنْ تجعلَ له إليـك سـبيلاً، ودون أنْ تخـدشَ وجـهَ الأدب.

الفرق بين التورية والكناية

✍ الكناية: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي، نجد هذا المعنى في قول مَن يصف راعي إبل أو غنم.

ضعيف العصا بادي العُروق ترى لـه   عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

يريد أنه مشفق على غنمه، لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة، فهو يتخير ما لَانَ من العصا فقوله: "ضعيف العصا"، لفظ أطلق ولم يرد به حقيقةَ معناه، وإنما أراد معنًى آخرَ، هو لازمه وتاليه في الوجود، وهو الرفق واللين.

✍ العلاقة إذًا بين التورية والكناية واضحة، وهي أن كليهما لفظ له معنيان والمراد أحدهما، إلا أن الأمر في التورية على أن المعنيين يفهمان من اللفظ دون وساطة من أحدهما لفهم الآخر كما سبق أن أشرنا- أما في الكناية فإن المعنى الثاني يكون لازمًا للمعنى الأول، وردفًا له، فضعف العصا -في المثال السابق- يلزمه الرفق واللين.

- وفرق آخر يتصل بقرينة كل من الكناية والتورية: فإن قرينة الكناية -كما سبق أن أشرنا في المجاز- ينبغي أن تكون ظاهرة

لا خفاء فيها ولا غموض، وهذا واضح من المثال السابق بينما قرينة التورية شرطها أن تكون خفية غير ظاهرة.

ولدقة الفرق بين التورية والكناية ظن الخطيب القزويني أن قول الحماسي :-

فلما نأتْ عنا العشيرة كلها أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريهة ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

في البيت الثاني تورية في لفظ "الجفون". وتابعه في ذلك صاحب (بديع المعاني والألفاظ) دكتور عبد العظيم مطعني، فقال:

"التورية في لفظ الجفون؛ لأن له معنيين، قريب واضح وهو جفون العين، وبعيد خفي وهو جفون السيف، والمعنى البعيد هو المراد". والحق أن ما في البيتين ليسَا من التورية، بل هو من باب الكناية، فإن الجفون -التي هي جفون العين- كناية عن إغماض السيوف، لا أنه أراد جفون السيف فورَّى .

بين التورية والكذب

✍ التورية لغة: مصدر ورَّى الشيء يوريه تورية أخفاه وستره.

✍ وهي في الاصطلاح:

أن يتكلم المتكلم بكلام له معنى ظاهر متبادر للسامع، وله معنى آخر خفي. ومقصود المتكلم هو هذا المعنى الخفي، إلا أنه ورّاه وأخفاه بذلك المعنى الظاهر المتبادر. ويلجأ المتكلم عادة لهذا الأسلوب إذا كان لا يريد الإخبار بالحقيقة لسبب ما، ولا يرضى بالوقوع في الكذب.

من أمثلة ذلك" ما رأيت زيداً " فهذه الجملة تدل على معنى ظاهر متبادر وهو نفي رؤيتك لزيد، وتحمل معنى آخر خفياً وهو نفي أن تكون قد أصبت رِئة زيد، سألك أحد هل رأيت زيداً؟ وكنت قد رأيته إلا أنك لا تريد أن تخبر بذلك إما لخوفك على زيد من ذلك الشخص، وإما لسبب آخر، ولا ترضى لنفسك الوقوع في الكذب فتوري قائلاً :" ما رأيته " فيفهم السامع المعنى المتبادر وأنت تقصد المعنى الخفي.

والتورية في الأصل غير مذمومة من الناحية الشرعية إلاَّ إذا توصل بها إلى إحقاق باطل أو إبطال حق أو نحو ذلك.

أما الكذب فهو الإخبار بالشيء على خلاف الواقع.

وهو في الأصل محرم مذموم شرعاً وعادة، ولا يجوز الإقدام عليه إلا لضرورة لا يمكن دفعها بغيره.

وبهذا التعريف لكل من التورية والكذب، ومعرفة الحكم الشرعي لكل واحد منهما تعرف الفرق بينهما.

ذكر ابن القيم رحمه الله:"إن الحيل ثلاثة أنواع:

- نوع قربة وطاعة، وهو من أفضل الأعمال عند الله تعالى.
- ونوع جائز مباح لا حرج على فاعله، ولا على تاركه، وترجُّحُ فعله على تركه أو عكس ذلك تابعٌ لمصلحته.
- ونوع محرم، ومخادعة لله تعالى ورسله، متضمن لإسقاط ما أوجبه، وإبطال ما شرعه، وتحليل ما حرمه، وإنكار السلف والأئمة وأهل الحديث إنما هو لهذا النوع..." [1].

1- إغاثة اللهفان ، ابن قيم الجوزية: 1/ 384.

من نماذج التورية
في أدبنا العربي

قال شاعر:

وقالت رُحْ بربك من أمامي فقلتُ لها بربك أنتِ روحي

فالتورية في كلمة (روحي) وقرينتها رح ، ومعناها القريب اذهبي والمعنى البعيد نفسي.

أيها المعرض عنا حسبك الله تعالى

(تعالى) : لها معنيان الأول قريب وهو " تعاظم وعلا " ، وهو معنى غير مراد، والثاني بعيد " طلب الحضور " و هو المراد.

- **وقال الشيخ عز الدين الموصلي :**

لحظت في وجنتها شامة فابتسمت تعجب من حالي

قالت قفوا واستمعوا ما جرى قد هام عمي الشيخ في خالي

- "ولم يزل ابن سناء الملك في باب التورية يتلاعب باختراعاته ويسكنها العامر من أبياته إلى أن ظهر بعده السراج فجلا غيابها بنور مشكاته ، وتعاصر هو وأبو الحسن الجزار والنصير الحمامي ، وتطارحوا كثيرًا وساعدتهم صنائعهم وألقابهم في نظم التورية ، حتى أنه قيل للسراج الوراق : لو لا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك

فانشد يقول :

شعريتي منذ رَمَدْتُ قد حبست طرفي عنكم فصرت محبوسـا

الحمد لله زادنـي شـرفا كنت سراجا فصرت فانوسـا

التورية في قوله (سراجا)

وقال :

وكنت حبيبا إلى الغانيـات فأكسبني الشيب هجر الحبيب

وكنت سراجا بليل الشباب فأطفأ نوري نهـار المشـيب

التورية – أيضا – في قوله (سراجا)

وقال :

إلهي لقد جاوزت سبعين حجة فشكرا لنعماك التي ليس تكفر

وعًمرت في الإسلام وازددت بهجة ونورا كذا يبدو السراج المعمر

التورية في قوله (السراج)

وقال متغزلا ومور يا :

وبي من البدو كحلاء الجفون بدت في قومها كمهاة بـين آسـاد

بَنتْ عليها المعالي من ذوائبها   بيتا من الشعر لم يُمدد بأوتاد

وأوقدَتْ وجنتاها النار لا لقرى   لكن لأفئـــدة منـــا وأكبـــاد

فلو بدت لحسان الخصر قلن لها   على الرؤوس وقلنا الفضل للبادي

- التورية في قوله : البادي ، من البدو أو من الظهور .

وقال الجزار الشاعر :

لا تعبني بصـــنعة القصـــاب   فهي أزكى من عنبر الآداب

كان فضلي على الكلاب فمذ صرت   أديبا رجوت فضل الكـــلاب

- التوريـــة في قولـــه : الكـــلاب : الكـــلاب الحيوانـــات المعروفـــة أو الأعداء .

- **وقال موريا في رجل سمين :**

ألا قـــل للـــذي يســـأ   ل عن قومي وعـــن أهلـــي

قـــد تســـأل عـــن قـــوم   كـــرام الفـــرع والأصـــل

تـــرجيهم بنـــو كلـــب   وتخشـــاهم بنـــو عجـــل

- التوريـة في قولـه : بنـو عجـل : أي الرجـل السـمين ، أو العجـل الحيوان المعروف .

- وقال موريا عن مهنته الجزارة :

إني لمن معشر سفك الدماء لهم دأب وسل عنهم إن رمت تصديقي

تضيء بالدم إشراقا عراصهم فكل أيامهم أيــام تشــريق

التورية في كلمة (تشريق) : من الإشراق ، أو أيام التشـريق التـي من أيام الحج .

- وقال الوراق الشاعر :

ياخجلتي وصحائف سود غدت وصحائف الأبرار في إشراق

وتوقفي لموبخ لي قائــل أكذا تكون صحائف الوراق؟

التورية في قوله : صحائف الـوراق : يـراد بهـا : الـوراق الشـاعر أو أوراق الصحف.

- قال الشاعر:

لولا التطير بالخلاف وأنهم قالوا: مريض لا يعود مريضا

لقضيت نحبي في جنابك خدمة   لأكون «مندوبا» قضى مفروضا

التورية في قوله (مندوبا)

والمندوب : هو الميت أو أحد الأحكام الشرعية .

✍ وهذه طائفة أخرى من نماذج التورية التي أثرت عن أدباء العصر المملوكي :

قال أبو الحسن الجزار موريا بصناعته:

إني لمن معشر سفك الدماء لهم   دأب وسل عنهم إن رمت تصديقي

تضئ بالدم إشراقاً عراصهم   فكل أيامهم أيام تشريق

ومن توريات جمال الدين بن نباتة في كلمة (راحة):

يا غائبين تعللنا لغيبتهم   بطيب ولا والله لم يطب

ذكرت والكأس في كفى لياليكم   فالكأس في راحة والقلب في تعب

وعن طرائف التوريات ما خرج مخرج الجناس، قال ابن حجة :

(قد تقرر أن ركتي الجناس يتفقان في اللفظ ويختلفان في المعنى لأنه نوع لفظي لا معنوي. وهو نوع متوسط بالنسبة إلى ما فوقه من أنواع البديع: والتورية من أعز أنواعه وأعلاها رتبة فإذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان في ركن واحد، وخلصت من عقادة الجناس).

✍ ومن جناس التورية :

قال بدر الدين الدماميني يصف ابن حجر العسقلاني:

حمى ابن علي حوزة المجد والعلى ومن رام أشتات المعالي وحازها

وكم مشكلات في البيان بفهمه تبينها من غير عجب ومازها

- مازها من ماز يميز أو بمعنى لم يدخله الزهو.

فأجابه ابن حجر بقوله:

بروحي بدراً في الندى ما أطاع من نهاه وقد حاز المعالي فزانها

يسائل أن ينهي عن الجود نفسه وها هو قد بر العفاة ومانها

ومانها، من مانه بمعنى كفاه ، أو مانها من النهى. (1)

وقال القائل موريا بالعلامة الشيخ / شمس الدين محمد الذهبي بعد وفاته :

مازلت بالسمع أهواكم وماذكرت أوصافكم إلا ملت من طربي

وليس من عجب أن ملت نحوكم فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهبي(2)

قال بعض شعراء مصر وقد بلغ النيل ستة عشر ذراعاً على مقياس النيل بعد فيضان النيل فعم وادي الجيزة حتى وصل الهرم:

قالوا علا نيل مصر في زيادته

حتى لقد بلغ الأهرام حين طما

فقلت هذا عجيب في بلادكمُ

أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال الشاعر :

يا ساكنا قلبي المعنى و ليس فيه سواك ثاني

لأي شيء كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان

1- مجلة الرسالة/العدد 774/طرائف من العصر المملوكي.
2- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، الجزء الأول ص 521.

مثال :

عندما تزوج أحد الأعراب مع كبر سنه فقام أخوه بمداعبته قائلا:

تزوج الشيخ أخي شـيخة ليس لهـا عقـل ولاذهـن

وقائـل قـال وماسـنها فقلت وهـل لهـا سـن؟

وجـاء في كتـاب (رائـق التحليـة في فـائق التوريـة) الـذي هو عبارة عن مجموعة أبيات شعرية تتعلـق بالتوريـة،نـذكر منهـا :

- من التورية بذكر الأعلام من الفقهاء والقراء والأدباء .

يقول الشاعر محمد بن خاتمة (وهو من شعراء الأندلس):

من شافعي لي عند مالك مهجتي مالي سوى حبي وليس بنافع

فمن المحقق أن مذهب مالك لا تستقيم لديه حجة شافعي

الشاعر يعبر عن لوعته ، وعن حرمانه، وعن هجـران حبيبـه فهـو يتمنى لو زالت الحواجز بينه وبين من يحب، ويرجـو أن تصـفو علاقتـه به، وأن يجد شفيعا لديه يزيل عنه أسباب الصدود، ويمحـو عنـه شـقاء الفراق، ولكنه لا شفيع له إلا حبه وهذا الحبيـب لا يقبـل شـفيعا كـيفما كانت حجته، ولا يستجيب لتضرـع راغـب مهـما حصـل، فهـو مالـك لمهجته، ومن المحقق أن مذهب مالك لا تسـتقيم لديـه حجـة شـافعي ، والتورية في قوله : شافعي ، مالك :

والمعنى القريب : يقصد به الإمام الشافعي والإمام مالـك عنـاصر أصولية بنيت عليهـا بعـض الأحكـام عنـد مالـك والشـافعي رضي الله عنهما، فلكل منهما منحى اجتهاد تقـرر القواعـد عـلى أساسـه، وتتخـذ الأحكام وفق منهجه، وهو مالا يقصد إليه الشاعر .

أما المعنى البعيد فالمقصود بالشافعي : من الشفاعة وتلمس العـذر ومالك : من التملك والسيطرة والاستحواذ ، وهو المعنـى الـذي يرمـي إليه الشاعر .

- وقد استعمل الأسلوب نفسه في أبيات أخرى حيث قال:

دارست قلبي الصب أعتده عن عاصم لي منك أو نـــافع

فلم يكن يرفع ما حل بي ورب فعـــل لـــيس بـــالرافع

ضل بي المذهب يا مالكي فهل لذاك الوجه من شافعي؟

فهو هنا يبحث عن بعض الحلول التي يعجـز بعـض النـاس عـن الوصول إليها وفق مـذهبهم، فيلتجئـون إلى مـذهب آخـر عسـاهم أن يجدوا وجها يبرر لهم ما يريدون الوصول إليه.

ولا ريــب أن التوريــة واضــحة، ولم يقتصرــ في هــذه الأبيــات على التورية بالنسبة لمالك والشافعي، وإنما أضاف إلى ذلك تورية أخرى بعاصم ونافع، وهما من أئمة القراءات السبع.

ومن التورية المتعلقة بالأعلام قوله:

واللثغ في الطاء هاج الهوى فهو حبيب لـــيس بالطـــائي

لا تعجبوا إن مال قلبي لـــه فشـــأنه إمالـــة الرائـــي

فهــو هنــا يستحســن لثغــة في نطــق مــن يهــواه ويســتلذها كما يستحسن منه إمالة الراء، وهاتان الصفتان تتعلق بالأصـوات لكـن الشاعر استغلهما استغلالاً أدبيًا، حيث استحضرـ أبي تمـام وهـو حبيـب الطائي المنسوب إلى قبيلة طيء على غير قياس إيهاما بأنه عند ذكر حبيبـه غـير الطـائي ينصـرف المعنـى إلى القبليـة، في حـين أنـه يقصـد كونـه لا يحسن النطق بالطاء، وكذلك الأمر يتعلق بإمالة الراء، فـإن الإمالـة تنصرف إلى هذا الحرف الذي يميله حبيبه، لكنـه لا يقصـد ذلـك وإنـما يقصد إمالة الناظرين إليه نظرا لما فيه من جاذبية الحسن والجمال.

ومن التورية ببعض المصطلحات العلمية والأدبية ما ورى بـه مـن مصطلحات علم العروض وهو قوله:

محياك عندي هلال سعيد	فكل زمان ترى فيــه عيــد
وخدك روض بديع الجمال	به كل فصل ربيــع جديــد
وقـــدك للقلـــب ريحانـــة	يميد إليهــا إذا مــا ميــد
فزد كل يوم جمالا وحسنا	ولي كل يوم غــرام يزيــد
خضوع طويل ودمع سريع	وخد بسيط وشــجو مديــد

فهـو هنـا ورَّى بأسـماء الأبحـر، وأخضـعها لحـالات ذاتيـة لا يحس بها ولا يعرف أسبابها وبواعثها، إلا من أسرهم العشق وملكهم سلطان الغرام.

ولقد وفق الشاعر في الـربط بـين أسـماء بحـور الشـعر : الطويـل والبسيط والمديد والسريع وبين المعاني التي يقصدها، فجـاء شـعره هـذا مبينا هيامه، ومبرزا آلامه، فهو عاشق محـروم، لا يجـد سـبيلا إلى إطفـاء لوعة حبـه إلا بالخضـوع الطويـل، والبكـاء السـريع والخـد البسـيط، والشجو المديد، ولولا جمعـه هـذه الصـفات في نسـق واحـد لمـا كانـت التورية واضحة.

ويعـرف هـذا النـوع بالتوريـة المهيـأة، بحيـث لـو اقتصـر على وصف واحد مـن هـذه الأوصـاف لماعرفنـا أن الشـاعر يهـدف إلى استعمال التورية في كلامه.

ومن ذلك ما ورى به من مصطلحات علم القوافي وهو قوله:

له جيش نصر قد نضا السعد دونه صوارم روع لا تقيها الفوارس

إذا ما قوافي الخيل فيه تداركت فأبشر بنصر بحره متكاوس

فالتورية هنا بالمتدارك (البحر الشعري) ، وهو كضرب من القافية، يجتمع منها متحركان بعدهما ساكن، والمتكاوس هو ضرب تجتمع فيه أربع حركات بعدهما ساكن، ولم يقصدها الشاعر، وإنما قصد معناهما اللغوي، ويريد بذلك، أن جيوشه مهما تعدد توجيهها للأعداء فإن النصر حليف لها في كل حين [1] .

وفي مثال آخر :

- قال الشيخ عز الدين الموصلي :

في الجانب الأيمن من خدها نقطة مسك أشتهي شمها

حسبته لما بدا خالها وجدته من حسنه عمها

1- راجع مجلة " دعوة الحق" العدد 294 نوفمبر1992م ، مقال:"من مخطوطات جامعة القرويين بفاس كتاب : "رائق التحلية في فائق التورية، محمد بن عبد العزيز الدباغ .

التورية في كلمتي : خالها وعمها ،العم والخال :من أولي القربى المعروفين ، هذا المعنى القريب المتبادر إلى الذهن وهو غير مطلوب.

خالها : أي النقطة السوداء التي على الخد وهي من علامات الحسن، وهذا المعنى بعيد وهو مطلوب.

عمها : أي شملها ، وهو المعنى البعيد المطلوب .

- وقال ابن سناء الملك :

أما والله لولا خوف سخطك لهان عليَّ ما ألقى برهطك

ملكت الخافقين فهمت عُجبا وليس هما سوى قلبي وقرطك

- التورية في قوله : الخافقيْن .
- معناها القريب : الشرق والغرب ، وهو غير مطلوب
- ومعناها البعيد : المهتزان المضطربان من خفت : أي اهتز واضطرب، وهو المعنى المقصود الذي يرمي إليه الشاعر .

- وقال أيضا :

وفي الحي من صيَّرتُها نصب ناظري فما أذِنَتْ في نازل الشوق بالرفع

تتيه بفرع منه أصل بليتي ولم أر أصلا قط يعزى إلى الفرع

- التورية في كلمة (الفرع)

- المعنى القريب : العشيرة التي تنتمي إليها وهو غير مراد.

- والفرع : أي : الشَّعر الطويل المنسدل ، كأنه فرع شجرة سامقة وهو المعنى البعيد وهو المراد .

وكان ابن سناء الملك صيرفيا يعرف كيف يصوغ التورية ويأتي بها في موضعها المناسب ، واتخذ من البديع وسيلة ينمق بها شعره ، ويزين بها نظمه حتى تميز بين الشعراء من معاصريه ، وسار على دربه من بعده السراج الشاعر فعرف بولعه بالتورية هو الآخر وبرز من بعدهما : أبو الحسن الجزار ، والنصير الحمامي ، وتطارحوا الشعر كثيرًا وساعدتهم في ذلك صنائعهم وألقابهم في نظم التورية وبلغوا بها شأوا بعيدًا .

- قيل للسراج الوراق : لـولا لقبـك وصـناعتك لـذهب نصـف شعرك ، فأنشد يقول :

شعريتي من رَمَدْتُ قد حَبَستْ طرفي عنكم فصرت محبوسا

الحمــد لله زادنــي شــرفا كنت سراجا فصرت فانوسا

التورية في كلمة (سراجا) : المصباح وهـو المعنـى القريـب وغـير مقصود ، والسراج الشاعر ، وهو المعنى الآخر المقصود .

- **ومن توريات السراج الوراق اللطيفة قوله :**

وكنت حبيبا إلى الغانيــات فأكسبني الشيب هجر الحبيب

كنت سراجا بليل الشــباب فأطفأ نوري نهار المشــيب

والتورية كذلك في كلمة (سراجا)

- وقال :

إلهي لقد جاوزت سبعين حجة فشكرا لنعماك التي ليس تكفر

وعُمرت في الإسلام وازددت بهجة ونورا كذا يبدو السراج المعمر[1]

والتورية – أيضا – هنا في قوله (السراج).

✍ ومن شواهد التورية :

قال أبو الفضل الشاذلي :

ذكرك لي في اللوم مستحسن واللوم عندي غير مستحسن

كم قلت للمعرب في لومـــه إن جئت نحوي قط لا تَلْحني

التورية – في هذا الشاهد – في قوله (لاتلحني) :

معناها القريب: (عدم اللحن في الكلام) وهو معنى واضح ظاهر متبادر إلى الذهن وغير مطلوب.

والمعنى البعيد (اللوم والعتاب)، وهو المراد .

1- كشف اللثام لابن حجة، ص 57 وما بعدها.

- قال بدرالدين الصاحب :

جفنـــي عليـــك ســـاهر بحرقـــة قـــد ذقتهـــا

ودمعتـــــي جاريـــــة إن زرتنـــــي عتقتهـــا

المعنى القريب في قوله (عتقتها) يبرزه الشاعر حين يتحدث عـن معاناته ، وأنه لم يذق للنوم طعما ، وقد تقرحت جفونه مـن كثـرة بكائـه ارتقابا لعودة محبوبه الذي إن زاره وواصل لقاءه أطلـق دموعـه فرحـا ، وليس هذا المعنى مطلوبا لقربه .

والشـاعر يريـد بقولـه (عتقتهـا) حبسـتها بقرينـة (إن زرتنـي) ليكون المعنى بذلك : أن دمعتي جارية فمتى زرتني حبستها .

✍ ومن جميل التورية

- قول برهان الدين القيراطي :

يامن تبرمك صبه في عشـــقه بالروح لاتبخل فعشقي زائـــد

بالفضل جد لي إن دمعي جعفر والوجد يحيى والتشوق خالد

التورية في الكلمات (الفضل وجعفـر ويحيـى وخالـد) أراد بهـا : أسرة البرامكة ، وهو المعنى القريب وليس مطلوبا .

والمعنـى البعيـد : دمعـي جعفـر :أي دمعـي نهـر (جعفـر اسـم من أسماء النهر)

ويحيـى:مـن الفعـل أحيـا ،وخالـد :مـن الخلـود، وهـو المطلوب [1] .

وقال الشاعر في امرأة جميلة قامت تسحر الناس في رمضان، فأنشد يقول:

عجبت في رمضان من مسحرة بديعة الحسن إلا أنها ابتـــدعت

قامت تسحرنا لـيلا فقلـت لهـا كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت؟

1- مجلة الأستاذ ، العدد 212 ، المجلد الأول 2015م ، العراق.

التورية في قوله : الشمس

✍ ومن جميل التورية

يروى أن سقراط الفيلسوف اليوناني المشهور حكم عليه بالإعـدام وأودع في السجن انتظارا لتنفيذ العقوبة ، وبينما هـو جـالس في حديقـة السجن ، مستمتعا بأشعة الشمس ، وكان ذلك في فصل الشـتاء ، وبينما حاكم المدينة يتفقد السجن رأى سـقراط ، فـذهب إليـه ووقـف خلفـه وحجب عنه أشعة الشمس ؛ فالتفت سقراط فرأى الحاكم خلفه ، فقال له الحاكم :

- ماذا تتمنى الأن أيها الفيلسوف ؟

فرد سقراط قائلا:

- أتمنى ألا أعيش في ظلك ساعة !!!!

التورية هنا في قوله : في ظلك .

نماذج التورية
من العصر الحديث

✍ **نذكر النماذج التالية :**

روي عن الأستاذ الفاضل على الجارم الشاعر وكان يعمل مفتشا للغة العربية ، روي أنه كان في زيارة لإحدى المدارس الثانوية وتصادف أثناء الزيارة أن نشب خلاف بين معلمتين ، وتطور الخلاف إلى عراك وارتفع صوت كل منهما وتجمعت المعلمات وتدخل المصلحون حتى انفض العراك ، وأحضرت المعلمتان إلى مكتب مديرة المدرسة للتحقيق معهما ، وقالت المديرة للأستاذ على الجارم :

تول أنت التحقيق معهما (لكونهما معلمتي لغة عربية) ، فقال الأستاذ على الجارم لإحداهما : قولي لنا ماذا حدث ؟ فأخذت تروي وتقص حتى انتهت من كلامها ، فسكت الأستاذ على الجارم قليلا ثم علق قائلا: أنت مصيبة ! وطلب من المعلمة الثانية أن تروي هي الأخرى ماحدث مع زميلتها فلما قصت وانتهت من كلامها علق الأستاذ قائلا : وأنت أيضا مصيبة ! ثم أردف قائلا لهما : أنتما مصيبتان ! ثم ترك المكان وانصرف بين ذهول الموجودين جميعا من تعليق الشاعر وقد فهم الجميع مايقصد من تعليقه .

ومما يـروى عـن كوكـب الشــرق السـيدة أم كلثـوم أنهـا كانـت في زيارة لدار الكتب ، وبينما هي تصعد درجات السـلم ،إذا بهـا تشـاهد الشاعرالكبير أحمد رامي خارجا من المكتبة ، وبينما هـو يهـم بنـزول أولى درجات الدرج توقـف عنـدما رأي أم كلثـوم ، فقالـت لـه " مـا تنـزل ياأستاذ " (وتروي المصادر أنه كان يحب أم كلثوم) فرد عليها قائلا: " (أنزل ازاي وروحي طالعة) !

- ومما يروى عن أم كلثوم– أيضا - أنه كـان لهـا جـار(طفـيلي) أي باللغة الدارجة(حِشري) ، وكـان هـذا الجـار كلـما جـاء وفـد مـن الصحافة أو من التليفزيون للتسجيل معهـا كـان يسـارع بالـدخول إلى الفيلا ويندس بين الزائرين من الصحافة أو التليفزيون ، حتى ضاقت أم كلثوم بما يفعل هذا الجار ، وأرادت أن تلقنـه درسـا وفي إحـدى المـرات حضر كعادته بدون دعوة ، فقالت أم كلثوم له تعال أعرفك بالضيوف ، هذا أستاذ فـلان ، وهـذا أسـتاذ فـلان وسـكتت فقـالوا لهـا لم تعرفينـا بالأستاذ " فقالت : نسيت أقول لكم هذا جارثومة " ! فخزي الرجـل وانصرف بعد أن فهم التورية .

جـرى بـين الشـاعرين عبـد الله البسـتاني ومعـروف الرصـافي وكانا قد جلسا واحتسى كل منهما شيئاً من القهـوة ، فقـال عبـد الله البستـاني:

إني لأ شربها على ذكر امرىء   هو بالفصاحة والنهى موصوف

إن كنت تنكر فليس بضـائر   أبداً عليه، فإنه "معـروف"

وأجابه معروف الرصافي بهذين البيتين، اختلفا في القافيـة وتلاقيـا بالأسلوب والمقصد:

إني لأ شربها على ذكرامرئ   الفضل فيه ليس بالمتناهي

إن الفصاحة والبلاغة والنهي   والفضل أجمع عند"عبد الله"

والتورية في قوله : معروف ، وفي قوله : عبد الله

ومن قبيل ذلك ما جرى بين الشاعر الساخر الضاحك محمود غنيم وصديقه الشاعر محمود الخفيف، عندما دعاه هذا إلى بيته وتلكّأ في تقديم الطعام ، فخاطبه محمود غنيم قائلاً :

أيها الشاعر جعنا   هات لحماً ورغيفا

وأسقنا شاياً ثقيلاً   لعن الله (الخفيفا)

والتورية في قوله : الخفيف : يقصد بها : الشاي الخفيف أو الشاعر محمود الخفيف.

حدثت مناوشة شعرية بين الكاتب السياسي العراقي فهمي المدرس والشاعر جميل صدقي الزهاوي عندما دعي الاثنان مع غيرهما من الأدباء لزيارة الملك فيصل الأوّل رحمه الله ملك العراق، وتولى فهمي المدرس تنظيم الجلسة ولم يحسن اختيار المقعد الملائم القريب من الملك لزميله الشاعر، وكان الزهاوي ممّن يحب التقرّب للملك فأغاظه ذلك، فلما خرج قال لأصحابه هذين البيتين اللذين غمز بها قناة صديقه الأديب فهمي المدرس، يقول فيهما:

أنـــا لـــو كنـــت بليـــدا فاز فـــي الأســـهم ســـهمي

إنمـــا آخرنـــي اليـــوم علـــى الأقـــران (فهمـــي)

سمع بذلك المدرس فردّ عليه فورا:

أنـــا لـــو كنـــت بليـــدا طاش في الأســـهم ســـهمي

إنمـــا قـــدّمني اليـــوم علـــى الأقـــران (فهمـــي)

والتورية في قوله : فهمي

الشاعر محمد إمام العبـدوهو مـن الشـعراء المجيـدين المطبـوعين على المرح ، قال له الشاعر خليل مطران ذات يوم :

لماذا لا تتزوج ؟

فأجاب على البديهة :

يا خليلي وأنت خير خليل لا تلم زاهـداً بغيـر دليـل

أنا ليل وكل حسناء صبح فاجتماعي بها من المستحيل

ذات يوم دخل الشاعر محمد إمـام العبـد مجلـسَ الشـاعر محمـود سامي البارودي ، وكان للبارودي جِلسة بعد عصرـ كـل يـوم يرتادهـا الأدباء الوجهاء بعد أن أفرج عنه ، وعاد مـن المنفـى ، فقـالوا لـه :هـذا محمد إمام العبد قد أقبل ، وكان البارودي في أواخر حياته قد كف بصره فقال مداعباً لإمام العبد :

لا تشترِ العبد إلا والعصا معه   إن العبيد لأنجــاس مناكيــد

فأجابه محمد إمام العبد على البديهة:

أنــا لا أرد عليــك ، ولكــن يردعليــك أبوالطيــب المتنبــي في نفـس البيـت الـذي يـلي البيـت الـذي أوردتـه ؛ ففـزع الحـاضرون إلى مكتبة الشاعر محمود سامي البـارودي ، يتصـفحون القصـيدة التـي استشهد بها الشاعر البارودي ببيت منها، وإذا بالبيت الذي بعده يقول:

ما كنت أحسبني أبقى إلى زمن   يسيء بي فيه كلب وهو محمود

✍ القيمة الفنية للتورية:

- تبرز حقيقة التورية في كونها موجودة في لفظ واحد يشترك فيه معنيان : أحدهما قريب ، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ، وهذا لايعني " أن كل لفظ مشترك بين معنيين تتصورفيه التورية ، وإنما تتصور التورية حيث يكون المعنيان ظاهرين إلا أن أحد المعنيين أسبق إلى الفهم من الآخر " [1].

- التورية وسيلة من وسائل التعبير الفني التي يستعين بها الشاعر أو الكاتب في التعبير عما يريد من غير أن يعرفه الناس أو يكشف عن أمره ، حينما لايريد الإفصاح عن مقصوده ، كما تمكنه التورية " من إخفاء المعاني التي يخشى التصريح بها فيورِّى بمعان تفهم من لفظ التورية ، وبهذا يدفع المحذور مع الصدق " [2].

- والتورية فن بديعي له خصائص إبداعية بعيدة المدى لايفطن إليها ولايدركها الإنسان العادي ، إنما تحتاج إلى التأمل والروية لكونها تجمع بين معنيين مختلفين ، وهذا يمنحها القدرة على تلوين

1- زهر الربيع في شواهد البديع ، ناصر الدين محمد بن قرقماس ، 163.
2- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، لابن القيم الجوزية ، ص 201.

المضمون بظلال مبتكرة فتضفي على المعنى جمالا وتزيده قوة وتألقا يضاف إلى ذلك ماتحمل التورية في طياتها "من المفاجأة والإثارة، وفيها مافيها من الحرية في التعبير حيال ضغط الرقيب ، وفيها من الطرافة والرشاقة وروح الفكاهة ،وبراعة الفن " [1]

- وفي التورية ثراء للمعنى ، وسعة في تناول المضمون ، فهي لا تخلو من " تفنن في الكلام ، واتساع فيه ، وتدل على تصريف بالغ وقوة على تصريف الألفاظ واقتدار على المعاني " [2].

- والغاية من التورية التأثير في السامع أو المتلقي عن طريق دلالة اللفظة المعبرة ؛ لأنها " تعمل على شحذ الذهن ، وإثارة العقول بحثا عن المعاني ، وإدراك أبعادها لتحديد اللفظ الذي يدل على المعنى الموجود" [3]وهذا من شأنه أن يكشف عن القيمة الجمالية الحقيقية لهذا الفن.

1- فن البديع ، د/ منير سلطان ، ص 195

2- الطراز للعلوي ، ص 428.

3- الوافي في تيسير البلاغة ، د/ حمدي الشيخ ، ص61.

- ويتمثل جمال التورية بشكل واضح في ماتحمـل مـن عمـق الخيـال المنتج لها ، وماتحمل من دلالات ومافيها من تجلية للمعنى المـراد ، وتقريبه من ذهن المتلقي فتثير خياله .

✍ النتائج التي توصل إليها البحث

توصلت الدراسة إلى مايلي :

- التورية لفظ يذكر وله معنيان : قريب ظاهر غير مراد ، وبعيد خفي مراد .
- للتورية ركنان أساسيان هما : المورّى به وهو المعنى القريب والمورّى عنه وهو المعنى البعيد ، وهو المعنى المراد ، وعلى هذا الأساس قسم البلاغيون التورية إلى أربعة أقسام : مجردة ومرشحة ، ومبينة ، ومهيأة
- عرفت التورية في العصور القديمة ، وكانت تأتي في الشعر والنثر عفو الخاطر غير متكلفة ولامقصودة ، ولم يكن القدماء يعنون بها أما المتأخرون فقدعنوا بها عناية كبيرة ، وصاروا يقصدون إليها قصدا ومنهم من أولع بها وأسرف في استخدامها .
- شاعت التورية في العصر المملوكي وبرع الشعراء في صياغتها وتمكنوا من الإتيان بها في ثنايا قصائدهم ، كما رأينا في شعر السراج الوراق وأبي الحسن الجزار ، والنصير الحمامي وابن سناء الملك.

وظل الاهتمام بالبديع ومنه التورية في عصور الضعف اللغوي حين أولى الشعراء و الأدباء عنايتهم بالصنعة الشكلية في الكلام فأكثروا من البديع وأوغلوا فيه متوهمين أن ما يفعلونه ضرورة لتزيين الأسلوب وتجميله.

- سر جمال التورية يرجع إلى ماتتضمن من التلطف والخفاء ووصول الأديب إلى غايته ، كما أنها تحدث حركة ذهنية بارعة ينتقل فيها الذهن من المعنى القريب إلى المعنى البعيد وهذا من شأنه أن يعطي المعنى حيوية فيؤثر في السامع ويرقى بالنص إلى درجة التميز والجمال .

- يتحقق جمال التورية إذا كانت استجابة لموقف يستلزمها أو كانت غير متكلفة ، ولم تكن مجرد لعب بالألفاظ دون فائدة في أداء الفكرة والتعبير عن المشاعر .

- في التورية إظهار لقدرة الشاعر أوالكاتب ، ودليل على مدى تمكنه وقدرته وخبرته في استغلال ثراء اللغة وماتحمل مفرداتها في طياتها من دلالات وإيحاءات .

المصادر والمراجع

1. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها / عبد الرحمن حبنكة الميداني.
2. البلاغة الواضحة: علي الجارم ومصطفى أمين.
3. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، مراجعة وضبط وتحقيق : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1995م.
4. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: كامل محمد محمد عويضة دار الكتب العلمية ، بيروت 1998م.
5. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، شمس الدين بن محمد الشهير بابن الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط2 1988م.
6. المزهر للسيوطي ج1.

7. المشترك اللفظي نظريا وتطبيقا، دكتور توفيق محمد شاهين الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة 1980م .

8. الوافي في تيسير البلاغة ، د/ حمدي الشيخ ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 2004 م .

9. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر والبيان وإعجاز القرآن زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بأبي الاصبع المصري ، تحقيق د/ حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة القاهرة .

10. بدائع الزهور في وقائع الدهور ، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، تحقيق : محمد مصطفى ، الجزء الأول.

11. زهر الربيع في شواهد البديع ، ناصر الدين محمد بن قرقماس تحقيق : د/ مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 2007م.

12. سر الصناعتين لأبي هلال العسكري.

13. شرح الكافيةالبديعية ، صفي الدين الحلي بن عبد العزيز بن سرايا السنبسي ، تحقيق : د/ نسيب نشادي ، دار صادر بيروت، ط1، 1992م.

14. طوق الحمامة لابن حزم.

15. ظاهرة التورية في شعر العصر المملوكي وأثرها في تعميق المعنى ، للكتور / حسين عبد العال اللهيبي.

16. علم البديع دكتور عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية.

17. فـن البـديع ، د/ منـير سـلطان ، دار المعـارف ، الإسـكندرية 1986م .

18. كشـف اللثـام عـن وجـه التوريـة والاسـتخدام ، تقـي الـدين أبو بكر بن حجة الحموي ، تحقيـق : د / محمـد نـاجي بـن عمـر دار الكتاب العلمي ، بيروت 1971م .

19. مجلة الأستاذ ، العدد 212 المجلد الأول 2015 م ، العراق .

20. مجلة الرسالة/ العدد 774/ طرائف من العصر المملوكي.

21. مجلـة " دعـوة الحـق"" العـدد 294 نـوفمبر1992م مقـال: "من مخطوطات جامعة القرويين بفـاس كتـاب "رائـق التحليـة في فائق التورية"محمد بن عبد العزيز الدباغ.

22. معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية لعبدالحليم محمد قنبس.

23. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 2000م .

24. نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: د/ علي بوملحم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 2004م .



المؤلف

دكتور / نعمان عبد السميع متولي

دكتوراه في الأدب العربي

صدر للمؤلف :

1- البلاغة المعاصرة

2 - النحو المعاصر

3 - التناص اللغوي

4 - الانزياح اللغوي

5 - المفارقة اللغوية

6 - المقاربة النصية

7 - ثنائية البلاغة والأسلوب

8 - مكونات الجملة والأسلوب

9 - في مدارات النقد الأدبي

10 - إيقاع الشعر العربي

11 - الأساس في قواعد الإملاء

12 - صلاح جاهين شيخ الزجالين

13 – القراءة والتلقي

14 – موسوعة الشعر العربي (6أجزاء)

15 – موسوعة الخط العربي (3 أجزاء)

16 – المرشد المعاصر إلى طرائق التدريس

17- معالم النص الإليكتروني

18 – متفرقات في النحو

19 – الخطاب الشعري

20 – الأساس في الضبط والإعراب

21 – الأمثال العربية بين الفصحى والعامية

22 – سبحات الفكر (ديوان شعر)

23 – تجليات التجربة الشعرية

24 – قليل من البوح (ديوان شعر)

25 – روائع الحصاد من لغة الضاد

26 – البارودي شاعر البطولة والأصالة

27 – المنهج الدراسي (معناه – إعداده وصياغته – تطويره)

28 – التشكيل الدرامي في الأدب العربي

29 – أصول التربية في القرآن الكريم

30 – قبس من الذكريات